جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

فتنة التكفير

بين

الشيعة .. والوهابية .. والصوفية

أ.د. محمد عمارة

القاهرة
ذو الحجة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦م

العدد (١٤٢)

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي

فتنة التكفير

بين

الشيعة .. والوهابية .. والصوفية

أ.د. محمد عمارة

العدد (١٤٢)

القاهرة
ذو الحجة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــــات

* يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينـــوا ولا تقولـــوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعنـــد الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كـــان بمـا تعملون خبيرا ﴾ (١) .

* ويقول الإمام القرطبي (٦٧١هـ / ١٢٧٣م) فـي تفسير هـذه الآية الكريمة : " إن في هذا التوجيه الإلهي من الفقه باب عظيم ، وهو أن الأحكام تناط بالمظان والظواهر ، لا على القطع واطلاع السرائر ، فـــالله لم يجعل لعباده غير الحكم بالظاهر " (٢) .

* وعن أسامة بن زيد ــ رضي الله عنه ــ قال : " بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات (مكان) من جهينة ، فـأدركت رجـلاً ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته . فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ فقال : " أقال لا إله إلا الله ، وقتلته " ؟!

قال ، قلت : يا رسول الله ، إنما قالها خوفًا من السلاح .

---

(١) النساء : ٩٤ .

(٢) (الجامع لأحكام القرآن) جـ٥ ، ص٣٣٩، ٣٤٠ ، طبعة دار الكتب المصرية .

قال ﷺ : [أفلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها أم لا " !! .. فمـــا زال يكررها حتى تمنيتُ أني أسلمت يومئذ] (١) .

* وفي شرح هذا الحديث ، يقول الإمام النووي (٦٣١ ، ٦٧٦هـــ / ١٢٣٣ ، ١٢٧٧م) : " إنما كُلِّفت بالعمل بالظاهر وما ينطق بـــه اللســـان وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه " .

* ويقول حجة الإسلام أبو حـــامد الغزالـــي (٤٥٠ ، ٥٠٥هـــ / ١٠٥٨ ، ١١١١م) : " إنه لا يسارع إلى التكفير إلا الجهلـــة .. وينبغـــي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلا ، فإن استباحة الدمـــاء والأموال من المصلين إلى القبلة ، المصرحين بقول : لا إله إلا الله محمـــد رسول الله ، خطأ والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ فـــي ســـفك محجمة من دم مسلم " (٢) .

* ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبـــده (١٢٦٦،١٣٢٣هـــ / ١٨٤٩،١٩٠٥م) : " إن الله لم يجعل للخليفة .. ولا القاضي .. ولا للمفتي .. ولا لشيخ الإسلام لدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام .. ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحـــد أو عبادتـــه لربـــه ، أو ينازعه طريق نظره ..

---

(١) رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والإمام أحمد

(٢) (الاقتصاد في الاعتقاد) ، ص١٤٣ ، طبعة مكتبة صبيح ، ضمن مجموعة ، القاهرة بدون تاريخ .

فليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لأنفس المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم ..

وليس لمسلم ، مهما علا كعبه في الإسلام ، على آخر ، مهما انحطت منزلته فيه ، إلا حق النصيحة والإرشاد ..

ولقد اشتهر بين المسلمين وعُرف من قواعد أحكام دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الإيمان من وجه واحد ، حُمل على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر .. " (١) .

هكذا أعلن الإسلام ــ من خلال " البلاغ القرآني " .. و " البيان النبوي " للبلاغ القرآني .. ومن خلال الفكر الإسلامي ــ ضرورة صيانة الإيمان عن " التكفير العبثي " و " عبث التكفيريين " ! .

المؤلف

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ ٣ ، صـ ٢٨٣ ــ ٢٨٩ ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م .

- ١ -

تمهيد

على النطاق العالمي ، وفي مختلف القارات ، تتوجه الأمم والشعوب إلى التقارب والتساند والتضامن والاتحاد .. وذلك انطلاقاً من الضرورات الحياتية لهذه الأمم والشعوب ، واستجابة للحاجات المادية التي تستلزم تكامل الإمكانات والثروات ومشروعات التنمية .. ولمواجهة التحديات ـ الداخلية والخارجية ـ التي تواجه هذه الأمم والشعوب ، إن في مجالات " الأمن " أو في مجالات " الاقتصاد " ..

وإذا كانت هذه الضرورات والحاجيات المادية والدنيوية " هي التي تدفع هذه الأمم والشعوب إلى التقارب والتضامن والتساند والاتحاد ، رغم ما بينها من اختلافات وتباينات دينية وثقافية ولغوية وقومية .. بل ورغم ما في تاريخها ـ البعيد والقريب ـ من حروب وصراعات .. فإن الحال مع شعوب الأمة الإسلامية ـ في ضوء هذه " الظاهرة العالمية " يدعو إلى الأسى والاستغراب ! ..

* فالمسلمون أمة واحدة .. قرر ذلك قرآنهم الكريم ، الذي هو البلاغ الإلهي الذي يحفظونه ، ويقدسونه .. وهم يتلونه في صلواتهم آناء الليل وأطراف النهار يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة

وأنا ربكم فاعبدون ﴾ ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [2].

ووحدة هذه الأمة، وما تثمره من ألفة، حالات هي إرادة إلهية و صناعة ربانية. وليست مجرد نزوع بشري دنيوي ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ [3].

* وتاريخ هذه الأمة الإسلامية شاهد صدق، بعد تلك السنة الحال والمقال أن وحدتها هي التي جعلتها — حتى عندما كانت فئة قليلة — تزيل القوى العظمى التي قهرت الشرق وتهيئه لأكثر من عشرة قرون، قوى الفرس والروم — وتفتح في ثمانين عاما أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون! وتبني الحضارة الوسطية المتوازنة التي أنارت الدنيا وعلمت الشعوب، وجعلت المسلمين العالم الأول على ظهر هذا الكوكب لأكثر من عشرة قرون!

* وهذه الوحدة، هي ذاتها التي مكنت هذه الأمة من قهر التتار الذين دوخوا الشعوب وأبادوا العمران، وقهروا الصليبيين الذين مثلت

(1) الأنبياء: ٩٢.

(2) المؤمنون: ٥٢.

(3) الأنفال: ٦٢-٦٣.

[illegible] قرنين من الزمان (٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م) ..

[illegible] ومع شهادة التاريخ .. فإن واقع هذه الأمة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين * وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين * يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين * ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين * إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون * ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور * إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم * يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير * ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون * ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون * فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين * إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون * لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير * وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين * ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم * إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم * ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين * ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم * ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير * لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد * الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين * فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير * كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور * وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم * ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير * إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب * لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد * لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار * وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب * يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون *

(١) آل عمران : ١٤٠ ـ ١٤١

٢ سورة

وبين النظم والمحتف ، وبين اللصوص والأحداث [illegible]

[illegible] [لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع ، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل ، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره] (1)

[illegible]

وفي أمتي إلى يوم القيامة [illegible]

[لا تجتمع أمتي على ضلالة] (2) .

[illegible] الهيئة من العلماء والمفكر [illegible]

[illegible] في سبيل توحيد أمة الإسلام ، فتتكامل وطن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

2 [illegible]

3 [illegible]

[illegible]

[illegible]

1 [illegible]

2 [illegible]

وإذا كانت " التعددية " وكل التمايز و [illegible] في إطار وحدة

[illegible]

[illegible] وفي مقدمة أسباب هذه " النقمة " " نزعة التكفير " التي [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ (١).

[illegible]

[illegible] الحرب الصليبية على

[illegible]

[illegible]

وجمهورها ..

(١) الفتح ، ٢٩

وصدق رسول الله ﷺ إذ يعلمنا منهاج الحفاظ على "سفينة الأمة" قلبون [مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا في سفينة في البحر ، فأصاب بعضهم أسفلها وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها فقال الذين في أعلاها : لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا ، فقال الذين في أسفلها : فإنا ننقبها من أسفلها فنستقي ، قال : [أي الرسول ﷺ] فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعا ، وإن تركوهم غرقوا جميعا] (١) .

[illegible] سفينتها [illegible] الكفر [illegible] ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ (٢) .

[illegible] سفينة [illegible] الكتب [illegible] والجمهور .

(١) رواه البخاري والترمذي والإمام أحمد .

(٢) الكهف ٧٩

ولمعالجة هذه النزعة وهذه الفتنة يجب أن يتنبه على العلماء والمفكرون المرابطون على ثغور وحدة الإسلام وأمته وحضارته

وفي سبيل الله نصدر هذا الكتاب الذي نسأل الله سبحانه وتعالى : أن يتقبله خالصًا لوجهه .. وأن ينفع به .. إنه سبحانه أفضل مسئول وأكرم مجيب ..

- ٢ -

حتى يكون التقريب حقيقيًا

في الحديث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية هناك خلط بين المفاهيم المرادة من وراء المصطلحات التي يستخدمها الباحثون في هذا المجال. فالتقريب بين المذاهب غير التوحيد بين المذاهب وكلاهما متميز عن احتضان جميع المذاهب والاستفادة من الملائم في أحكامها واجتهادات مجتهديها.

ثم إن المذاهب قد يراد بها المذاهب الفقهية وقد يراد بها المذاهب الكلامية [illegible] من البدء بتحديد وتحرير مضامين ومفاهيم كل مصطلح من هذه المصطلحات.

* "فالتقريب" هو الانطلاق من تمايز المذاهب المتعددة والمختلفة، والحفاظ على تمايزها واختلافها، مع العدول عن نفي مذهب للمذاهب الأخرى، بالتعصب لمذهب واحد ورفض ما عداه. فهو التقريب [illegible] بين المذاهب المختلفة، مع كشف [illegible] الجامع بها [illegible] الاتفاق بينها، وتحديد مناطق التمايز والاختلاف.

* أما "التوحيد" بين المذاهب: فإنه يعني دمجها جميعًا في مذهب واحد، ونفي قاعدة التعدد والتمايز والاختلاف..

* وبين هذين المصطلحين [illegible] الاحتضان [illegible] المذاهب المختلفة والمتمايزة [illegible] الإسلامية في [illegible]

وحد وحضارة وحدة ودين وحد والنظر إلى الأحكام التي [illegible]

الاجتهاد [illegible] المذهبية المختلفة باعتبارها التراث الواحد للأمة الواحدة، ومن

ثم الاستفادة بالملائم منها، الذي يلبي حاجات تحقيق المصالح

الضرورية [illegible] والتكامل [illegible]

والتقاليد والأعراف .. أي توسيع دائرة الترجيح بين الأحكام و[illegible]

من نطاق المذهب الواحد إلى جملة المذاهب كلها ومفهوم "الاختصاص"

هذا من الممكن أن يكون ثمرة من ثمرات التقريب.

[illegible] مصطلح المذاهب، فإنه يطلق على المذاهب الفقهية، التي

هي علم الفروع واجتهادات الفقهاء في أمر الشريعة الإسلامية الواحدة

التي هي وضع إلهي ثابت عبر الزمان والمكان [illegible] المصطلح

[illegible] على المذاهب الكلامية [illegible] التصورات والأحكام [illegible]

[illegible] علماء أصول الدين في إطار العقائد الإسلامية، وخاصة

الألوهية وصفات الذات الإلهية و[illegible] النبوات والرسالات

وما يتعلق بها من المعجزات و[illegible] فلسفة العلاقة بين الحق والخلق

وما يتعلق بها من مكانة الإنسان في الكون وأفعال هذا الإنسان [illegible]

[illegible] مذاهب ومضامين مصطلحات [illegible]

مباحث الفكر الإسلامي.

* * *

[illegible] عن التدريج [illegible] والدعوات التي [illegible]

[illegible] المذاهب الإسلامية بهدف الخروج من التعصب [illegible]

[illegible] والاستفادة من كل الاجتهادات فيها [illegible]

بمستجدات العصر، فقد دعا الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) في التقرير الذي كتبه لإصلاح القضاء الشرعي أن تكون من جملة الدعوات في عصرنا الحاضر لاختيار كل مذاهب الفقه الإسلامي والاستفادة من جنباته في القضاء والتقنين الحديث لفقه الشريعة الإسلامية. فقد كانت الدولة العثمانية (٩٢٣ ـ ١٣٤٢ هـ / ١٥١٧ ـ ١٩٢٤ م) تلتزم بالمذهب الحنفي وحده، مقننة وحده بمجلة القضاء وفي الفتوى، رغم تمذهب الناس في المذاهب السنية الأربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وبالمذهب الحنفي وحده تم التقنين في مجلة الأحكام العدلية سنة ١٢٨٦ هـ ـ سنة ١٨٦٩ م. فلما درس الإمام محمد عبده حال القضاء الشرعي بمصر، دعا في التقرير الذي كتبه في نوفمبر سنة ١٨٩٩ م ـ إلى إصلاح حال هذا القضاء وفقهه، ودعا إلى تجاوز كل أسر هذه الفقهية، والاستفادة من اجتهادات جميع مجتهديه، مع في ... من فتح باب الاجتهاد والترجيح بين الأحكام ...، والتيسير على الناس، وتلبية حاجات المستجدات [1].

وقد كانت حركة التقنين للفقه الإسلامي بمصر، في مقدمة الحركات التي وصلت دعوة الإمام محمد عبده في الممارسة والتطبيق، ففي التعديلات التي أدخلت على بعض مواد قوانين الأسرة ـ الأحوال الشخصية ـ تمت الاستفادة من المذاهب الفقهية المختلفة، بما في ذلك

(١) (الأعمال الكاملة) ج٢، ص٢٠٩ ـ ٢٨٨

المذهب الجعفري [illegible] الشيعة الاثني عشرية [illegible] والمذهب الزيدي [illegible] الزيدية

وقد قامت مصر [illegible] موسوعة الفقه الإسلامي [illegible] موسوعة [illegible] عبد الناصر [illegible] كل المذاهب الفقهية الموثقة مصادرها ، واختصت أحكامها واجتهادات مجتهديها جميعا [illegible] وهي المذاهب السنية الأربعة [illegible] مع المذهب الجعفري ، والمذهب الزيدي ، والمذهب [illegible] الظاهري [illegible] الفقه المصري [illegible] الطريق ، الذي لا يكتفي ، فقط ، بالتقريب بين المذاهب الفقهية [illegible] المؤلف المصري [illegible] كل المذاهب [illegible] العصر من اجتهادات المذاهب الفقهية جميعها .

* * *

وفي [illegible] العشرين ، قامت في مصر جماعة التقريب [illegible] مركزة جهودها على مذهب السنة والشيعة الإمامية [illegible]

[illegible] الجماعة الزعيم المصلح محمد علي [illegible] (١٢٩٢ - ١٣٧٥هـ / ١٨٧٥ - ١٩٥٦م) [illegible] في [illegible] مؤسسيها والعاملين في ميدان جهودها الفقهية والفكرية [illegible] العلماء الأعلام الشيخ عبد المجيد سليم (١٢٩٩ - ١٣٧٤هـ) والشيخ محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨ - ١٣٦٤هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٥م) [illegible]

مصطفى عبد الرازق (١٣٠٣ ــ ١٣٦٦هـ / ١٨٨٥ ــ ١٩٤٦م)

والشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ ــ ١٣٨٣هـ / ١٨٩٣ ــ ١٩٦٣م)

والشيخ محمد المدني (١٣٢٥ ــ ١٣٨٨هـ / ١٩٠٧ ــ ١٩٦٨م)

والشيخ علي الخفيف (١٣٠٨ ــ ١٣٩٨هـ / ١٨٩١ ــ ١٩٧٨م)

والشيخ [illegible]

[illegible] حسن البنا (١٣٢٤ ــ ١٣٦٨هـ / ١٩٠٦ ــ ١٩٤٩م) والشـ

[illegible]

[illegible] التقريب [illegible]

[illegible]

[illegible] الذي تولى الأمانة العامة لجماعة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] رسالة الإسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

العلاقة بين السنة والشيعة على وجه الخصوص .

[illegible] كانت جهود الشيخ محمود شلتوت من أبرز [illegible]

[illegible]

[illegible] هذه الدعوة ، وجهود [illegible]

[illegible] دعوة التقريب هي دعوة التوحيد والوحدة ، هي دعوة السلام

والإسلام [illegible]

المستقيمة على نهج الإسلام والتي كان عليها الأئمة الأعلام في تاريخه الفقهي. ولكن الذين كانوا يترفعون عن العصبية الضيقة ويرسلون [illegible] وشريعته عن الجمود والخمول، فلا يزعم أحدهم أنه أتى بالحق الذي لا ريب فيه، وأن على سائر الناس أن يتبعوه، ولكن يقول: "هذا مذهبي [illegible] فهو عمدتي، والحديث إذا صح فهو مذهبي".

ولقد آمنت بفكرة التقريب بمنهج قويم، وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها، وفي وجوه نشاط [illegible] بأمور كثيرة، ثم تسهمت [illegible] بعد ذلك، وقد عهد إلي بمنصب مشيخة الأزهر، أن أصدرت فتوى في جواز التعبد على المذاهب الإسلامية [illegible] المتبعة [illegible] المؤمنين [illegible] الشيعة الإمامية [illegible] وقرأت [illegible] الفتوى [illegible] المؤمنين [illegible] الحق والأئمة [illegible] وطلب [illegible] والمجادلات في شأنها وأنا مؤمن بصحتها [illegible] في [illegible] بعد [illegible] بعث به من رسائل إلى [illegible] المعترضين [illegible] من مقال [illegible] الدعوة إلى الوحدة والتماسك والاتفاق حول [illegible] الإسلام [illegible] الصغائر والأحقاد [illegible] والحمد لله [illegible] بين [illegible] مجرى القضايا [illegible] بعد أن كان [illegible] في

مختلف عهود الضعف الفكري والخلاف الطائفي والنزاع السياسي يثيرون في موضعها الشكوك والأوهام بالنص، وهذا هو الأزهر الشريف ينزل على حكم هذا العهد، مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة، فيقرر دراسة فقه المذاهب الإسلامية سنيها وشيعيها، دراسة تعتمد على الدليل والبرهان، وتخلو من التعصب لفلان وفلان» (١)

[illegible]

إن بعض الناس [illegible] أنه يجب على المسلم [illegible] عبادته ومعاملاته على [illegible] المذاهب الأربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي [illegible] مذهب الشيعة [illegible] مثلا ؟ ».

فكان جواب الشيخ شلتوت على هذا السؤال.

إن الإسلام لا يوجب على أحد اتباع مذهب معين، بل نقول [illegible] لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ومن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء.

(١) [illegible] ١٣٩٩هـ، سنة ١٩٧٩م

إن مذهب الجعفرية ، المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة ، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته تابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد ـ تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

ذلك هو نص فتوى الشيخ شلتوت في التقريب بين المذاهب السنية وفي جواز التعبد والتعامل وفق أحكامها جميعا دون تعصب لمذهب ضد ما عداه ، وجواز التعبد والتعامل من قبل أهل السنة ـ وفق فقه المذهب الجعفري للشيعة الإمامية الاثنا عشرية على وجه التحديد .

ورغم أن هذه الفتوى قد وجدت صدى عظيما وواسعا ومستمرا في الدوائر الشيعية ، ورفعت من مقام الشيخ شلتوت في هذه الدوائر ، حتى لقد تم الاحتفال به وبآية الله البروجردي ـ في طهران سنة ٢٠٠١م ، ولقد ترجم علماء الشيعة فتواه هذه إلى مختلف اللغات ، إلا أنه لم تصدر فتوى مناظرة لها من أي مرجع من مراجع الشيعة ، ولم يفت واحد من هؤلاء العلماء الأعلام بجواز تعبد وتعامل المسلم الشيعي وفق فقه المذاهب الفقهية السنية ، حتى يكون التقريب متبادلا بين الأطراف المتعددة ، وليس من طرف واحد لحساب الطرف الثاني !

---

(١) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٨٨ .

[illegible] إن دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية الصادر [illegible] الثورة الإسلامية [illegible] قد ذهب إلى الحد الذي جعل المذهب الجعفري وحده هو مذهب الدولة، ونص على أن المادة التي تقرر ذلك لا يجوز تغييرها فيما يطرأ على مواد هذا الدستور من تغييرات [illegible] الأمر الذي يجعل قضية التقريب بين المذاهب الفقهية قائمة على ساق واحدة [illegible] حتى كتابة هذه السطور !.

* * *

وإذا كانت [illegible] من ملاحظات على هذه الجهود العلمية العظيمة التي تكتنفها جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، والتي [illegible] في ميدان التقريب بين السنة والشيعة [illegible] الجهود التي يحاول مواصلاتها قدر الإمكان [illegible] وعلى نحو من الاتجاه [illegible] المجتمع العالمي للتقريب بين المذاهب [illegible] في هذه الملاحظات تشكل جمالاً في هذه النقاط :

أولاً: إن توجيه جهود التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى التقريب بين المذاهب الفقهية، هو جهاد في غير الميدان الحقيقي الأولي بالجهاد [illegible] هو جهاد في الميدان [illegible] الذي لا تمثل المشكلة الحقيقية في الخلافات بين المذاهب الإسلامية وبين السنة والشيعة على وجه التحديد [illegible] هو علم [illegible] في الفقه الإسلامي [illegible] الاجتهادات في الأحكام الفقهية [illegible] الاجتهادات هو الذي [illegible]

إن خلاف مذهب الفقه السنية والشيعية ـ حول نكاح المتعة مثلا ، لا يمثل مشكلة تقصم وحدة الأمة الإسلامية ، بل الاجتهادات التي تكفر الصحابة الذين أجروا خلافة علي بن أبي طالب هي التي تهدد وحدة الأمة منذ عصر الخلافة وحتى هذه اللحظات ..

ومثلها الاجتهادات التي تكفر الشيعة في بعض كتب التراث السني كما هو الحال عند شيخ الإسلام ابن تيمية ([illegible] هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م) وبعض الأئمة " السلفيين " ويضاف إلى هذه المسائل بعض الآراء التي توهم التجسيد والتشبيه بذات الإلهية ، وبعض المواقف الحادة في ميدان التصوف والصوفيين .

فالتقريب بين المذاهب ، والذي يمثل الميدان الحقيقي للجهاد الفكري المطلوب ، هو الذي يوحد الأمة في الأصول والثوابت ، وفي مهمات العقائد والمسائل الفكرية ، وهذا هو ميدان علم الكلام ، والجهد التقريبي الغالب والمطلوب ـ هو نزع الألغام الفكرية ـ التكفيرية التي تقصم وحدة الأمة بالتكفير لفريق من الفرقاء أو مذهب من المذاهب ، لأن التكفير هو نفي للآخر ، يقصم وحدة الأمة ، وهو خطر لا علاقة له بالفقه ، الذي هو علم الفروع ، ولا بالاجتهادات والاختلافات الفقهية التي هي ظاهرة صحية ، تثمر الغنى والثراء في الأحكام ، والتيسير والسعة للأمة كلها في تطبيق هذه الأحكام ..

* وإن كانت هذه الألغام الفكرية ـ التكفيرية التي تتعدى بها وعليها عقول قطاعات من العلماء في بعض الحوزات العلمية ، وفي بعض

الدوائر الفكرية السنية ، كما تتعدى عليها نزعات التعصب عند العامة

إذا كانت هذه الأنغام [illegible] منكسة [illegible]

الموقف الممكن والمعنى [illegible] يمكن تصوره فيما يلي

١ـ تحديد نطاق هذه الأنغام الفكرية التكفيرية [illegible] تحسين

الخطاب [illegible] من نقل القضايا الخلافية من نطاق الفروع [illegible] نطاق

أصول الاعتقاد [illegible] ثم [illegible] إلى عوامل [illegible] وتكفير

[illegible]

٢ـ اعتماد منهج وسنة التدرج في تطبيق خطة إزالة هذه

الأنغام الفكرية ـ التكفيرية من الكتب التراثية ، وخاصة [illegible]

منها في الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية ، [illegible]

[illegible] لكتب التراث هذه [illegible] وفق المنهج المتعارف عليه في

تهذيب " كتب التراث ..

٣ـ الاتفاق في إطار حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية على

[illegible] الاجتهادات التكفيرية في الحوزات والجامعات

الإسلامية التي تكون عقول العلماء في مختلف بلاد الإسلام [illegible]

[illegible] الشريف [illegible] في هذا [illegible] فهو يختص كل مذهب

الأمة [illegible] الفقهية والكلامية [illegible] وخلقها على حد سواء ، مع [illegible]

التكفير والتسفيق [illegible] من [illegible] وفرقه من الفرق الإسلامية ،

حفاظا على وحدة الأمة ، التي هي فريضة إلهية ، تعلو فوق اجتهادات

المجتهدين ومذاهب المتمذهبين ..

وصدق الله العظيم في قوله: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (١).

هذا هو الميدان الحقيقي للجهاد الفكري في التقريب بين المذاهب الإسلامية، إنه علم الكلام، علم الأصول في الأعلى، وبين علم الفقه والمذاهب الفقهية، التي تتخصص في الفروع، واختلافاتها رحمة واسعة ولا تفسد الود بين المسلمين.

---

(١) الأنبياء: ٩٢

- ٣ -

مقال فى التحذير من التكفير

لأهل السنة والجماعة - الذين يمثلون ٩٠% من المسلمين - موقف واضح وحاسم وثابت فى رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ما دام قائما بحقوق هذه الشهادة ، التى هى شعار الإسلام ، العاصمة للدماء والأموال والحقوق .

ومن هذا الموقف الواضح والحاسم والذى يعتبر حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ، فنقول : واعلم أن حقيقة الكفر والإيمان وحدهما والشق والضلال وسرهما لا ينجلى لقلوب المدنسة بطيب المال والجاه وحبهما بل إنما ينكشف ذلك لقلوب طهرت عن وسخ أو صار الدنيا أولا ، ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا ، ثم نورت بالذكر الصافى ثالثا ، ثم غذيت بالفكر الصائب رابعا ، ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة ، وصارت كأنها مرآة مجلوة ، وصار مصباح الإيمان فى زجاجة قلبه مشرق الأنوار يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار .

وإنى لتجلى أسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم ، وسيدهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم ، وغوثهم وإرادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم أعباءهم وذكرهم

وساوسهم وكبرهم سواسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم ؟

فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الإيمان ؟ بالإلهام الإلهي ولم تفرغوا القلوب من كدورات الدنيا لقبولها ؟ أم بكمال علمي وإنما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وأمثالهما ؟

هيهات هيهات هذا المطلب أنفس وأعز من أن يدرك بالمنى أو ينال بالهوينا فاشتغل أنت بشأنك ، ولا تضيع فيهم بقية زمانك ، فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، تلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ».

ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب

أما الكفر ، فلأنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته

وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظر ، وأن لا ترى في نظرك إلا ما رأيت ، وكل ما رأيته حجة ، وأي فرق بين من

حجة

(١) [illegible] فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ، سنة ١٩٠٧م ، والآيتان من سورة النجم ٢٩، ٣٠

يقول: قلدني في مجرد مذهبي، وبين من يقول: قلدني في مذهبي ودليلي جميعا؟ وهل هذا إلا التناقض؟

* * *

(و) لعلك تشتهي أن تعرف حد الكفر بعد أن تتناقض عليك حدود أصناف المقلدين، فاعلم أن شرح ذلك طويل، ومدركه غامض، ولكني أعطيك علامة صحيحة فتطردها وتعكسها لتحدث مطمح نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان في أهل الإسلام وإن اختلفت طرقهم، ما داموا متمسكين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صادقين بها، غير مناقضين لها، فأقول:

الكفر: هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به.

والإيمان: تصديقه في جميع ما جاء به.

[illegible]

[illegible]

وهذا لأن الكفر حكم شرعي ، كالرق والحرية مثلا ، إذ معناه [illegible] الحكم بالخلود في النار ، ومدركه شرعي ، فيدرك ما نص أو بقياس على منصوص (1) ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

ولا يعجبك إلا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فينكشف لك علو هذه الفرق وإسرافها في تكفير بعضها بعضا

فأقول التصديق إنما يتطرق إلى الخبر ، بل إلى المخبر ، وحقيقته الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول ﷺ عن وجوده إلا أن للوجود خمس مراتب ، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب ، فإن الوجود ذاتي ، وحسي ، وخيالي ، وعقلي ، وشبهي ، فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الإطلاق

واعلم أن كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين ، وإنما التكذيب أن ينفي جميع

[illegible]

[illegible]

(1) (فيصل التفرقة) ، صـ ٤ ، ٥

هذه المعاني ، ويزعم أن ما قاله الرسول ﷺ لا معنى له ، وإنما هو كذب محض ، وغرضه مما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا ، وذلك هو الكفر المحض والزندقة .

ولا يلزم كفر المتأولين ، وما من فرقة من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه . فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل رحمه الله عليه وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازا أو استعارة وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي ، والحنبلي مضطر إليه ، وقائل به ، فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون إن أحمد بن حنبل رحمه الله صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط لأنه لم يكن ممعنا في النظر العقلي .

والأشعري والمعتزلي بزيادة بحثهما ، تجاوزا إلى تأويل ظواهر كثيرة ، وأفرد الناس إلى الحديثة في أمور الآخرة الأشعرية ـ وفقهم الله فإنهم قرروا فيها أكثر الظواهر إلا يسيرا والمعتزلة أشد منهم توغلا في التأويلات .. (١)

ومن الناس من يبادر إلى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ، ولا ينبغي أن يبادر أيضا إلى كفره في كل مقام ، بل ينظر فيه ، فإن كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره ولعل الظن في مثل هذه الأمور التي لا تتعلق بأصول الاعتقاد يجري مجرى البرهان في أصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥ ، ٩ ، ١٠ .

[illegible]

[illegible] لا إله إلا الله محمد رسول الله [illegible]

[illegible]

[illegible] لا حصر له.

وأما القانون، فهو أن تعلم أن [illegible]

[illegible]

واعلم أنه لا تكفير في الفروع [illegible] الصحابة

[illegible] التكفير وإن كان في الفروع.

[illegible] بالإجماع [illegible]

وأما الأصول الثلاث، وكل ما لا يحتمل التأويل في نفسه، وتواتر نقله، ولم يتصور أن يتوقف على خلافه فمخالفته تكذيب محض.

* * *

ولا ينبغي أن يظن أن التكفير وتقيه ينبغي أن يترك قطعاً في كل مقام، بل التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية فتارة يدرك بيقين وتارة يظن وتارة يتردد فيه ومتى حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير أولى، والمبادرة إلى التكفير إنما يغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل.

ولابد من التنبيه على قاعدة أخرى، وهي أن المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم أنه مؤول، ولكن ذكر تأويله لا القدح فيه أصلاً في اللسان، لا على بعد ولا على قرب، فذلك كفر، وصاحبه مكذب وإن كان يزعم أنه مؤول، مثاله: ما رأيته في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى واحد بمعنى أنه يعطي الوحدة ويخلقها، وعالم بمعنى أنه يعطي العلم لغيره ويخلقه، وموجود بمعنى أنه يوجد غيره، وإما أن يكون واحداً في نفسه وموجوداً وعالماً على معنى الصفة فلا، وهذا كفر صراح، لأن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً، ولو كان خالق الوحدة يسمى واحداً لخلقه الوحدة تسمى ثلاثاً وأربعاً لأنه خلق الأعداد أيضاً، فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عُبّر عنها بالتأويلات.

(المصدر السابق، ص ٥، ١٦).

ومعرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل التأويل ليس بالهين، بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة، العارف بأصول اللغة، ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها في ضروب الأمثال.

* * *

وأما ما لا يعظم ضرره في الدين فالأمر فيه سهل وإن كان القول شنيعاً وظاهر البطلان، كقول الإمامية المنتظرة إن الإمام مختف في سرداب فإنه ينتظر خروجه، فإنه قول شنيع ظاهر البطلان، شنيع جداً، ولكن لا ضرر فيه على الدين، إنما الضرر على الأحمق المعتقد لذلك، إذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الإمام حتى يرجع إلى بيته خاسراً ـ وهذا مثال ـ والمقصود أنه لا ينبغي أن يكفر بكل هذيان وإن كان ظاهر البطلان.

فإذا فهمت أن النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التي لا يستقل بآحادها المبرزون، علمت أن المبادر إلى تكفير من يخالف الأشعري[2] أو غيره، جاهل مجازف. وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم؟ وفي أي ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم؟! فإذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فأعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك، فإن التحدي بالعلوم

(١) المصدر السابق.

(٢) هو أبو الحسن الأشعري ([illegible] والجماعة .. والأشعرية مع الماتريدية ـ نسبة إلى [illegible] يمثلون الجمهور الغالب من أهل السنة والجماعة.

الزوال بكل شبهة.[٢]

وصنف [illegible] بين [illegible] اسم محمد [illegible] وصنفه بن سمعون [illegible] الصبيان [illegible] كتاب [illegible] على النبوة [illegible] كتاب يقال له المقنع [illegible] كانت [illegible] في معنى الصنف الأول [illegible] مع [illegible] سمعون [illegible] وصنفه [illegible] في الصبيان

[illegible] فمن كتبه [illegible] فرع سمعه [illegible] وصنفه ومعجزته [illegible] كشق القمر [illegible] الحصى [illegible] بين [illegible] المعجز [illegible] فرع [illegible] سمعه [illegible] ولم [illegible] فيه ولم [illegible] هو [illegible] الكتب [illegible] الروم والترك [illegible] المسلمين

[illegible] من فرع سمعه [illegible] الطيب [illegible] حقيقة الأمر [illegible] من [illegible] ولم يكن من الدين [illegible] الحياة [illegible] على الآخرة [illegible] لم تنبعث هذه الداعية [illegible] ركونه [illegible] على [illegible] وحصر أمر الدين [illegible] وذلك كفر

[illegible] ٢٢٤ [illegible] في البصرة [illegible] ولاية [illegible] بن معاوية [illegible]

وإن البعث الداعية فقصر في الطلب ، فهو أيضاً كفر ، بل هو الإيمان بالله واليوم الآخر مرة هل كل ملة لا يمكنه أن يفتر عن الطلب بعد ظهور المحقين بالأسباب الخارقة للعادة

فإن اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فأدركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضاً مغفور له ، ثم له الرحمة الواسعة ، فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الأمور الإلهية بالموازين المختصرة الرسمية

والمخلدون في النار بالإضافة إلى الناجين والمخرجين منها في الآخرة نادر ، فإن صفة الرحمة لا تتغير باختلاف أحوالنا ، وإنما الدنيا والآخرة عبارتان عن اختلاف أحوالك ، ولولا هذا لما كان لقوله عليه الصلاة والسلام معنى حيث قال : أول ما خط الله في الكتاب الأول : أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتي غضبي ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فله الجنة .

فابشر برحمة الله وبالنجاة المطلقة إن جمعت بين الإيمان والعمل الصالح ، وبالهلاك المطلق إن خلوت عنهما جميعاً ، وإن كنت صاحب يقين في أصل التصديق وصاحب خطأ في بعض التأويل أو صاحب شك فيهما أو صاحب خلط في الأعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة

• • •

" واعلم أن للفرق في (التكفير) مبالغات وتعصبات ، فربما انتهى بعض الطوائف إلى تكفير كل فرقة سوى الفرقة التي يعتزي إليها

---

(١) (فيصل التفرقة) ، ص ٢٣ ـ ٢٥

فإذا أردت أن تعرف سبيل الحق فيه فاعلم قبل كل شيء أن هذه مسألة فقهية ، عنى الحكم بتكفير من قال قولا وتعاطى فعلا ، فإنها تارة تكون معلومة بأدلة سمعية ، وتارة تكون مطلوبة بالاجتهاد ، ولا مجال لدليل العقل فيها البتة [1] .

فإذا تقرر هذا الأصل ، فقد قررنا في أصول الفقه وفروعه أن كل حكم شرعي يدعيه مدع فإما أن يعرفه بأصل من أصول الشرع من الجماع أو نقل أو بقياس على أصل ، وكذلك يكون المحظور كافرا [illegible] أن يتبرأ بأصل أو بقياس على ذلك الأصل .

والأصل المقطوع به أن كل من كذب محمدا [illegible] كافرا [illegible] في [illegible] بعد الموت [illegible] إلى جملة الأحكام ، إلا أن التكذيب على مراتب .

الرتبة الأولى : تكذيب اليهود والنصارى [illegible] المجوس [illegible] ، فتكفيرهم منصوص [illegible] ومجمع عليه [illegible] الأمة ، وهو الأصل ، وما عداه كالملحق به .

الرتبة الثانية : تكذيب البراهمة المنكرين لأصل النبوات ، والدهرية المنكرين لصانع العالم ، وهم ملحقة بالنصوص [illegible] هؤلاء كثير [illegible] — عنى البراهمة — فكانوا بالتكفير [illegible] من النصارى واليهود [illegible]

(1) أبو حامد الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد [illegible] ضمن مجموعة — القاهرة [illegible]

اضطروا إلى تكذيب الأنبياء [illegible] المرسل ، ومن ضرورية إنكار النبوة ويلتحق بهذه الرتبة كل من قال قولاً لا يثبت النبوة في أصلها ، أو نبوة [illegible] محمد على الخصوص ، لا بعد بطلان قوله .

الرتبة الثالثة : الذين يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تكفيرهم في ثلاثة مسائل ، وهي :

إنكارهم لحشر الأجساد والتعذيب بالنار [illegible] [illegible]

[illegible] والمأكول والمشروب والملبوس [illegible]

[illegible]

الملائكة السماوية

والثانية قولهم إن العالم قديم ، وإن الله تعالى متقدم على العالم بالرتبة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

عن كونه كذب

[illegible] والفرق [illegible]

ـ وهم الذين يصدقون ، ولا [illegible] لمصلحة وغير مصلحة ،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] اتباع الهوى دون [illegible]

[illegible]

[illegible] ، فلابد من دليل [illegible] ويثبت [illegible] العصمة [illegible]

من قول لا إله إلا الله قطعا ، فلا يدفع ذلك [illegible]

في التنبيه على أن [illegible] من بالغ في التكفير ليس عن برهان [illegible]
[illegible] برهان [illegible] على أصل [illegible] والأصل هو التكذيب الصريح
ومن ليس بمكذب فليس في معنى المكذب أصلا ، فيبقى تحت عموم
العصمة بكلمة الشهادة

[illegible]
أصول الشرع [illegible]
الصلوات الخمس غير واجبة [illegible]
[illegible] من رسول الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا أن يكون هذا الشخص قريب عهد الإسلام ولم
يتواتر عنده بعد هذه الأمور فيمهله إلى أن يتواتر عنده ، وليست تكفيره
لأنه أنكر معلوما بالتواتر ، وأنه لو أنكر غزوة من غزوات النبي ﷺ
المتواترة ، أو أنكر وجود أبي بكر وخلافته لم يلزم تكفيره ، لأنه ليس
تكذيبا في أصل من أصول الدين مما يجب التصديق به ، بخلاف الحج
والصلاة وأركان الإسلام وليست تكفره بمخالفة الإجماع ، لأن الشبهة

كثيرة في كون الاجماع حجة قطعية . وانما الاجماع عبارة عن التطبيق على رأى نظرى (١) .

* * *

[illegible]

حامد الغزالي [illegible] محمد رسول الله ..

* لا يكفرون الشيعة الامامية بقولهم في الإمامة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] العصبية [illegible]

ولا تثبت بالرأى والعقل ، و[illegible] في الاحتراز من التكفير ما وجد المرء إليه سبيلا ، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة ، المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ ، والخطأ في

(١) المصدر السابق ، صـ ١٤٣ .

ـ ٤ ـ

مستويات الخطاب .. ومستويات المخاطبين

يؤمن المنهج الإسلامي بوحدة الحقيقة [illegible] وليس [illegible] كما هو الحال في المناهج الوضعية الغربية، التي تقسم الحقيقة إلى [illegible] علمية لا دينية "ودينية لا عقلانية".

ويؤمن المنهج الإسلامي بحق كل [illegible] مكلف في السعي إلى [illegible] الحقيقة وتحصيلها [illegible] والحكمة ضالة المؤمن [illegible] فيه حق [illegible] [illegible] وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة [illegible] أن الإسلام [illegible] جعل العلم والحكمة والحقيقة مجرد حق [illegible] حقوق الإنسان [illegible] إلى حيث جعل ذلك "فريضة إلهية وتكليف شرعي وواجب رباني" [illegible] [illegible] الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولأن خطاب الإسلام موجه [illegible] إلى الناس يتفكرون ويتدبرون ويعقلون [illegible] [illegible] وبدون العلم والمعرفة يستحيل على الإنسان أن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكوكب الذي يعيش فيه [illegible] [illegible] في هذا الوجود.

لكن [illegible] كانت مستويات الناس [illegible] الفطرية [illegible] الكسبية، متفاوتة [illegible] [illegible] مكاناتهم وطاقاتهم وحظوظهم في [illegible] [illegible]

من الحقائق والمعارف والعلوم . وليس في ذلك شبهة طبقية ولا كهانة ، كتلك التي عرفتها حضارات قديمة وديانات أخرى حجرت على عامة الناس ميادين كثيرة من العلم الديني والمعارف الدنيوية . وإنما هو المنهج الإسلامي الذي يفتح أبواب ميادين المعارف والعلوم على مصاريعها أمام الكافة ، ثم يطلب من كل إنسان أن يحمل من العلم قدر الطاقة والاستعداد والجهد الذي يبذله في الطلب والتحصيل .

ولهذه الحقيقة من حقائق المنهج الإسلامي تمايزت مستويات الخطاب الإسلامي " وفق تمايز المستويات العقلية للمخاطبين . فمع وجود المقادير الضرورية التي لا يستغني عنها المكلف من المعارف والعلوم الدينية والدنيوية هناك مستويات وألوان من الحقائق والمعارف والعلوم لا يدركها إلا العلماء . وهناك مستويات أخرى لا يدركها إلا الراسخون في العلم . ووراء جميع ذلك هناك مستويات من العلم لا يدرك العقل الإنساني كنه حقائقها وجوهر مكنوناتها . بل لا تستطيع اللغة أن تعبر عن هذا الجوهر والكنه والمكنون ، لأنها من علم الله الكلي والمطلق والمحيط ، وليست من العلم النسبي والمعارف النسبية المقدورة للإنسان . ولهذا القسم من العلم الإلهي يضرب الله الأمثال التي تقرب صورته إلى الإنسان .

ولهذه الحقيقة من حقائق هذا المنهج الإسلامي ، في تعدد مستويات الخطاب الإسلامي ، وفق تعدد مستويات الإدراك والتعقل لدى المخاطبين

ميز القرآن الكريم بين " **المحكم** " الذي يدركه جمهور المخاطبين وبين " **المتشابه** " ، الذي يعرف تأويل بعضه الراسخون في العلم ولا يدرك مآلات بعضه الآخر إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ . ودعا الإسلام الكافة إلى تجنب تأويل هذا القسم ، الذي تعلو حقائقه الكلية عن مدارك العقل النسبية ، كي لا تكون فتنة بين الناس .

ولقد جاء في الحديث النبوي الشريف " أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ـ رواه الديلمي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وأورده السيوطي في [جامع الأحاديث] .

ولقد عقد الإمام البخاري ـ في كتاب العلم ـ بابًا " بمن خص بالعلم قوما دون قوم كراهة أن لا يفهموا " وأورد فيه عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قوله " حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟!

وفي مقالات الإسلاميين لإمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري [٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ ـ ٨٧٤ ـ ٩٣٦م] ـ نجد أن " المباحث العالية في دقيق الكلام " لا يدركها إلا الراسخون في العلم من أصحاب المقالات .

وانطلاقا من هذه الرؤية ، كان اجتماع علماء الإسلام على ضرورة حجب مستويات من العلم عن الذين لم يحصلوا من الأدوات ما يجعلهم يطبقون فقه هذه المستويات ، وذلك حتى لا تتحول الحقائق ، عند من لا طاقة لهم بفقهها ، إلى سبيل من سبل البلبلة أو الضلال ، أو الشكوك التي لا يستطيعون الخلاص من دوامتها إلى شاطئ اليقين والاطمئنان .

* وقد كان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١] من أكثر العلماء الذين وضعوا الكتب والرسائل في تقعيد قواعد هذا المنهج - منهاج التمييز والتحديد لمستويات الخطاب وفق تمايز مستويات المخاطبين.

ومن الكتب النفيسة التي خصصها الغزالي لهذا المنهج كتابه [إلجام العوام عن علم الكلام] ذلك أن علم الكلام إنما نشأ في الحضارة الإسلامية - على يد المعتزلة - للرد على خصوم الإسلام، وللجدل مع المعاندين من أصحاب الفلسفات والديانات غير الإسلامية، فهو بمثابة ترسانة الحرب الخارجية القائمة على الثغور، قابلة لتحول أسلحته إلى الصراعات الداخلية، وأن استخدام هذه الأسلحة غير المدربين على استخدامها، وغير القادرين على حملها، كانت فيه كثير من الجمهور والعوام.

ولذلك، قرر الغزالي في هذا الكتاب - أن من أبحاث علم الكلام ومباديه ومصطلحاته ما لا تجوز السباحة فيه لغير القادرين على فقه دقيق الكلام" وهو يرد على الذين ينكرون تمايز مستويات الخطاب بتمايز مستويات المخاطبين، بحجة عموم الخطاب، وأن الله - سبحانه وتعالى - لا يخاطب الخلق بما لا يفهمون، يرد الغزالي على أصحاب هذا القول ويحاورهم فيقول:

وإن قلت:

- فأي فائدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون؟

وجوابك :

إنه قصد بهذا الخطاب تفهيم من هو أهله وهم الأولياء والراسخون في العلم وقد فهموا ، وليس من شرط من خاطب العلماء بكلام أن يخاطبهم بما يفهم الصبيان والعوام بالإضافة إلى العارفين كالصبيان بالإضافة إلى البالغين ، ولكن على الصبيان أن يسألوا البالغين عما يفهمونه وعلى البالغين أن يجيبوا الصبيان بأن هذا ليس من شأنكم ولستم من أهله ، فخوضوا في حديث غيره

ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به أن يقر بالعجز فإن التصديق واجب وهو عن دركه عاجز ، فإن ادعى المعرفة فقد كذب

بل إن الراسخين في العلم والعارفين من الأولياء إن جاوزوا في المعرفة حدود العوام وحالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من نواديها أميالا كثيرة ، فما بقي لهم مما لم يبلغوه بين أيديهم أكثر بل لا نسبة لما طووا عنهم إلى ما كشف لهم ، لكثرة المطوي وقلة المكشوف بالإضافة إليه ، والإضافة إلى المطوي المستور

وإن مستند إيمان العوام في هذه الأسباب وعلى الدرجات في حقه أدلة القرآن وما يجري مجراه مما يحرك القلب إلى التصديق ولا ينبغي أن يجاوز بالعامي إلى ما وراء أدلة القرآن وما في معناه ، بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية ربما كان أسلم له من أن يخوض في البحث عن

معرفة الله تعالى لأن ذلك غايته الفسق ، وهذا عاقبته الشرك ، وأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

كما كتب الغزالي ـ كذلك ـ في هذا الفن ـ كتابه [المضنون به على غير أهله] وفيه تقرر أن من الحقائق ما لا تعلمه العقلاء فضلاً عن العوام ـ لأنه مما استأثر الله سبحانه ـ بعلمه

ذلك أن وراء ما يتصوره العقلاء أموراً ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها إلا الله تعالى والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده

كما كتب الغزالي ـ أيضاً في هذا الموضوع ـ رسالته [الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية] أي [المضنون الصغير] ، وفيها تحدث عن ما هو السلف ـ أن هو زجر العوام عن الخوض في علم الكلام والبحث بين شيخين في العلم ـ مستخدماً مثال السباحة ـ فرق بين القادرين عليها وبين غير القادرين .. فقال

ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن علم الكلام وإنما زجروا عنه لضعف العوام وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الأشكال ومنع الكلام للعوام يجري مجرى منع الصبيان من شاطئ

(١) الغزالي [إيجاد العوام عن علم الكلام ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣] طبعة القاهرة مكتبة الجندي ضمن مجموعة [القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي] بدون تاريخ

(٢) الغزالي [المضنون به على غير أهله ص ٢٠] طبعة مكتبة الجندي ضمن مجموعة [القصور العوالي] ..

نهر دجلة خوفا من الغرق ، ورخصة الأقوياء فيه تضاهي رخصة المهر في صنعة السباحة »[1] .

هكذا أقصر حجة الإسلامي أبو حامد الغزالي في تحديد مستويات الخطاب وفق تمايز مستويات المخاطبين .

* * *

* فقد جاء الفيلسوف الفقيه أبو الوليد ابن رشد [illegible] ٥٢٠ هـ [illegible] ١٩٨ م) [illegible] على طريق الغزالي [illegible] الحقيقة [illegible] مستويات المخاطبين المكلفين بهذا التصديق .

فهو يؤكد على وحدة الحقيقة في الذات الإلهية [illegible] الشريعة [illegible] المخلوقات مع تعدد طرق التصديق [illegible] الحقيقة [illegible] جبلات [illegible] وطبائع الجمهور [illegible] ومتوسطين بينهما .. فيقول :

إنا نعتقد ، معشر المسلمين ، أن شريعتنا هذه الإلهية حق ، وأنها التي نبهت على هذه السعادة ودعت إليها ، التي هي المعرفة بالله — عز وجل — وبمخلوقاته ، فإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذي اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق ، وذلك أن طبائع الناس متفاضلة في التصديق ، فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالأقاويل

---

(1) الغزالي [المضنون الصغير] ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ — طبعة مكتبة الجندي — ضمن مجموعة [القصور العوالي] .

الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان ... ليس في طاعة أكثر من ذلك ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية وشريعتنا قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث وقد حض عليه الصلاة والسلام بالبعث إلى الأحمر والأسود على تضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله تعالى وقد صرح في قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»[1]

[illegible]

كل فريق من ذات الحقيقة الواحدة .. وبعبارة ابن رشد :

فالطريقة الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم ، إلى الإقرار بوجود الباري سبحانه والتي نبه الكتاب العزيز عليها ، وعلمتها الصحابة تنحصر في جنسين دليل العناية ودليل الاختراع ولقد تبين أن هاتين الطريقتين هما ـ مثالهما طريقة الخواص ـ وعلى الخواص العلماء ـ وطريقة الجمهور وإنما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل على أن الجمهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس ، وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس

[1] النحل ٢٥

ما يدرك بالبرهان ، على من العناية والاختراع . والعلماء ليس يفضلون الجمهور في هذين الاستدلالين من قبل الكثرة فقط بل ومن قبل التعمق في معرفة الشيء الواحد نفسه . فإن مثال الجمهور في النظر إلى الموجودات مثالهم في النظر إلى المصنوعات التي ليس عندهم علم بصنعتها ، فإنهم إنما يعرفون من أمرها أنها مصنوعات فقط وأن لها صانعا موجودا . ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر إلى المصنوعات التي عندهم علم ببعض صنعتها ويوجه الحكمة فيها . أما مثال الدهرية في هذا ، الذين جحدوا الصانع سبحانه ، فمثال من أحس مصنوعات فلم يعترف أنها مصنوعات ، بل ينسب ما رأى فيها من الصنعة إلى الاتفاق والأمر الذي يحدث من ذاته [1] .

" وإذا كان الغزالي قد [illegible] منع غير الراسخين في العلم من التأويل ، فإن ابن رشد قد دعا إلى منع التأويل في مبادئ الشريعة وفي المعجزات [illegible] فيما لا تدركه العقول الإنسانية ـ حتى على الحكماء من الفلاسفة .. فقال :

فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع . وفاعل ذلك عندهم يحتاج إلى الأدب الشديد ، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم مبادئها ، ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال ، كانت الصناعة العملية

---

(1) [illegible] في عقائد الملة] ص ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ دراسة وتحقيق [illegible] محمود قاسم [illegible] .

الشرعية أحرى بذلك ، لأن العشى على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ، ليس في وجود الإنسان بما هو انسان ، بل وبما هو إنسان عالم ، ولذلك يجب على كل انسان ان يسلم مبادئ الشريعة وان يقلد فيها ، فإن جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان ، ولذلك وجب قتل الزنديق فالذي يجب ان يقال فيها إن مباديها امور الهية تفوق العقول الإنسانية ، فلابد ان يعترف بها مع جهل أسبابها ، وبذلك لا تجد احدا من القدماء تكلم في المعجزات ، مع انتشارها وظهورها في العالم ، لانها مبادئ تثبيت الشرائع ، والشرائع مبادئ الفضائل ، ولا شيء يقال بعد الموت .

فاذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا بإطلاق فإن تمادى به الزمن والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم ، فعرض له تأويل في بعض من مبادئها ، فيجب عليه ان لا يصرح بذلك التأويل ، وان يقول فيه كما قال — تعالى — « والراسخون في العلم يقولون امنا به » (١) .

انه لا يجوز التأويل في مبادئ الشريعة — [لان التأويل هو عمل العقل في انتقال دلالة اللفظ من الحقيقة الى المجاز وفق قوانينه] — وهذه المبادئ الالهية تفوق العقول الإنسانية ، وواجب كل انسان ان يسلم بها ويقف عندها ، هذه هي حدود الشرائع وحدود العلماء (٢)

(١) آل عمران ٧

(٢) ابن رشد : فصل المقال ، ص ٢٠ ، ٢٥ ، مطبعة القاهرة ، ١٩٠٣ م

هكذا حدد ابن رشد حدود الشرائع ، ومبادئها التي لا يجوز فيها الجدل ولا التأويل كما حدد حدود الجمهور وطريقتهم في التصديق وحدود أهل الجدل من المتكلمين وكذلك حدود الحكماء والعلماء وسبيلهم البرهاني إلى التصديق .

* وكما نبه ابن رشد على مذهب السلف في عدم التأويل ، نبه على أن ظهور التأويل في الفكر الإسلامي قد ارتبط بتراجع التقوى في المجتمعات الإسلامية .. فقال :

إن الصدر الأول لما صار إلى القصيبة الكاملة والتقوى استعمال هذه الأقاويل التي ثبتت في الكتاب العزيز دون تأويلات فيها ، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به .

وأما من أتى بعدهم ، فإنهم لما استعملوا التأويل قلّ تفاهم ، وكثر اختلافهم ، وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقاً ، فيجب على من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة ، أن يعمد إلى الكتاب العزيز ، فينقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء شيء ، مما كلفنا اعتقاده ، ويجتهد في نظره إلى ظاهرها ما أمكنه من غير أن يتأول من ذلك شيئاً ، إلا إذا كان التأويل ظاهراً بنفسه أعني ظهوراً مشتركاً للجميع .

* ومع كل هذه الضوابط التي أحاط بها ابن رشد قضية التأويل وتقسيم أساليب القرآن في الاستدلال وفي التصديق على غيرها من

( ) ابن رشد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص ٦٥ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة الدار المعارف ـ ١٩٩٩ م

الأساليب ... رأيناه يؤكد على أن هذا التأويل الذي هو حق الخاصة من الراسخين في العلم ، لا يصرح به للعامة ، ولا يثبت في الكتب الجمهورية حتى ولو كان تأويلا صحيحا ، مستجمعا لشروط التأويل وضوابطه وبعبارته :

فهذا التأويل ليس ينبغي أن يصرح به لأهل الجدل ، فضلا عن الجمهور ، ومتى صرح بشيء من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها أفضى ذلك بالمصرح له والمصرح إلى الكفر فليس يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية ، فضلا عن الفاسدة وأما المصرح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر [1]

* * *

هذا هو المنهاج الإسلامي في :

* وحدة الحقيقة

* وتعدد طرق التصديق بالحقيقة الواحدة ، تبعاً لتمايز مستويات المخاطبين والمكلفين بهذا التصديق مستويات

١ - أهل البرهان من الحكماء والعلماء الراسخين في العلم

٢ - وأهل : الجدل - من المتكلمين .

٣ - وأهل الخطابة والمواعظ .. من الجمهور .

(١) المصدر السابق ص ٥٨، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ وانظر كتاب مناهج الأدلة ، ص ٢٤٤، ٢٤٥

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

كما وجدنا واقع المجتمع الإسلامي في [illegible]

المنهج ..

[illegible] إن هو إلا ذكر للعالمين [illegible] وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين [illegible] الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذير

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] رأيت مجتمع النبوة تجسيداً لهذا المنهج [illegible]

[illegible]

(١) النحل ٤٣

(٢) يوسف

(٣) الأنبياء ٧٠

(٤) الفرقان ٢

هذا الجمهور [illegible] خصصهم العلماء في كتب أعلام الصحابة [illegible]

كما في [أسد الغابة في معرفة الصحابة] لابن الأثير [٥٥٥ - ٦٣٠هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٣م] - أقل من ثمانية آلاف - ٧١٠٣ مع تفاوت في الفقه وفي [illegible] النسوخ العلمي بين هذه النخبة والصفوة التي تخرجت في مدرسة النبوة ، على عهد رسول الله ﷺ الأمر الذي [illegible] - دائماً و [illegible] - تمايز مستويات الخطاب الإسلامي بتمايز مستويات المخاطبين بهذا الخطاب .

ثورة الإعلام المعاصر .. وإشاعة فتنة التكفير بين الجماهير

وإذا كانت ثورة الاتصالات المعاصرة قد مثلت نعمة كبرى من نعم الله في العلم الحديث ، عندما يسرت على الناس سبل المعرفة ، [illegible] ثمرات العقول الإنسانية لجماهير الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والقارات والصفات [illegible] فإن لهذه الثورة [illegible] فلما تعلق بموضوع بحثنا [illegible] نقل كثير من المسائل الجدية والخلافية من مصادرها المتخصصة ، والمقصورة على العلماء المتخصصين إلى الكتب الجمهورية والمواقع المتعددة على الشبكة العالمية للمعلومات وهي كتب ومواقع [illegible] في أحيان كثيرة تعرى وتستدرج جمهور كبير من غير المتخصصين ، بل وغير المؤهلين للاطلاع على مسائل وقضايا ومجادلات تزعزع ما لدى الجمهور من اليقين ، دون أن يكون هذا الجمهور قادرا على تحصيل يقين بديل لذلك الذي زعزعته هذه الجدليات وما فيها من شبهات كما تنشر هذه الكتب الجمهورية ومواقع الإنترنت — وبعض الفضائيات — خلافات الفرق وصراعات المذاهب وجدليات التيارات الفكرية بين العامة ، فتشعل نيران التعصب والتمزق والتشرذم بين جماهير أمة الإسلام .

[illegible] الإسلام والاتصال [illegible] من مسائل علم الكلام
[illegible] الجسية — وهي أدلة لا تحقق طمأنينة إيمانية ، لا تب
[illegible] عصرية ، تقدم الى عامة الجمهور وجميع الن

* وبعد أن كان " الجدليات الكلامية " سلاحا في مواجهة خصوم
[illegible] في العقيدة من المعتزلة والمتكلمين [illegible] كثير من "
[illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
حصر العقيدة في قضية تكفير [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
" [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
التي يشتد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

" [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الإسلام أبو حامد الغزالي ، وغيره .

التحذير من تكفير الفرق ، وتطويل اللسان في أهل الإسلام ، وان
اختلف طرقهم ، ما داموا متمسكين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ،
معتقدين بها ، غير معاندين لها ، لان الكفر حكم شرعي لا يدرك
الا بمدرك شرعي ، من نص او قياس على منصوص ، ولا يلزم كفر
المؤولين ما داموا يلازمون قانون التأويل ، وأصول الايمان ثلاثة هو

الإيمان بالله ، وبرسوله ، وباليوم الآخر ، وما عداه فروع ولا تكفير في الفروع أصلا ، إلا في مسألة واحدة وهي أن ينكر أصلا دينيا علم من الرسول ﷺ بالتواتر فالتكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة ـ [مصة] ـ من دم مسلم والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على من يغلب عليهم الجهل وأكثر الخائضين في هذا التكفير إنما يحركهم التعصب واتباع الهوى دون النظر للدين والعصمة للدم مستفادة من قول لا إله إلا الله قطعا ، فلا يُدفع ذلك إلا بدليل قاطع

بعد أن كنا نقرأ هذا الكلام النفيس بحجة الإسلام الغزالي ونقرأ كذلك للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [٢٦٦ ـ ٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م] قوله :

أصل من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير ولقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد ، حمل على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر "[٢]

بعد أن كنا نقرأ ذلك .. ونقف عند حدوده . أصبح التكفير مادة من مواد الإعلام الجمهوري التي تشيع هذه " الفاحشة الفكرية " بين ملايين

---

(١) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣ ، طبعة القاهرة ـ مكتبة صبيح بدون تاريخ

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ ٣ ص ٣٠٢ دراسة وتحقيق محمد عمارة طبعة القاهرة ـ دار الشروق ١٩٩٣ م

العوام حتى لقد تحولت بعض المصادر الإعلامية والمواقع على الشبكة العالمية للمعلومات إلى ألبات لإشاعة الريب والشكوك وزعزعة اليقين والطمأنينة لدى كثير من الناس ومن ثم وسيلة لإشاعة المزيد من التمزق والافتراق بين صفوف الأمة، وجعل بأسها بينها شديدا، الأمر الذي يوهن من بأسها في مواجهة الأعداء. وذلك على العكس من الصورة التي كانت لهذه الأمة في صدر الإسلام «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم».

«وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم»[2].

• وإذا كان لاختلاف ألسنة من سنن الله - في كل عوالم الخلق وميادين الفكر - فإن اتفاق الأمة وجمعها على الجوامع الخمسة المكونة للأرض المشتركة بين شعوبها وأجناسها وقومياتها وأوطانها ومذاهبها - وهي جوامع وحدة:

١- العقيدة

٢- والشريعة

٣- والحضارة

٤- والأمة..

٥- ودار الإسلام..

---

(١) الفتح: ٢٩

(٢) الأنفال: ٦٣

هو الشرط لجعل الاختلاف — في الفروع ، كالفقه والسياسة مثلا — ظاهرة صحية ، تفتح أبواب السعة والرحمة والتيسير لجمهور المسلمين

أما الخلاف في الأصول — وخاصة في أصول الاعتقاد — فإنه هو الذي يفقد الأمة أساس وحدتها ، ويجعل تفرقها شيعا في أصول الدين والاعتقاد ..

• • •

وإذا نحن شئنا أن نضرب أمثلة على فداحة الفكر التكفيري ، الذي تقذف به تيارات فكرية ومذاهب كلامية .. وطرق صوفية إلى صفحات منابرها الإعلامية ومواقعها على الشبكة العالمية للمعلومات . وتشيعه بين جماهير لا علاقة لأغلبيتها الساحقة بموضوعات العقائد ومباحثها قاتنا واجدون الكثير .. والحظير . والشر المستطير !

وعلى سبيل المثال :

ـ ٦ ـ

التكفير الصوفى للوهابية

" فالطريقة العزمية " ـ وهى إحدى الطرق الصوفية الأكثر استنارة والأبعد عن الخرافات ، والأقرب إلى التجديد ، والتى أسسها الإمام المجدد الشيخ محمد ماضى أبو العزايم [١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م] . هذه " الطريقة " قد احترقت ـ فى الكثير من سائر أعلامها وثقافتها ـ مع الأسف الشديد ـ قذف السلفيين ، وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦ ـ ٧٢٨ هـ ـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م] والشيخ محمد بن عبد الوهاب [١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ ـ ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢ م] والوهابية ـ تتشبع الاتهامات بما فى ذلك التكفير والإخراج من ملة الإسلام "

ففى زعمهم ـ مثلا ـ أن عقائد الوهابية :

* " عقائد غلوصية وهندوسية "
* " وهى مذهب إرهابى ، وسار الحادى خطير
* " وهذا الوباء الوهابى لابد من اجتثاث تجربة الخبيثة "
* " وهذه الطائفة المقلدة لمحمد بن عبد الوهاب مجسمة مكفرة
* " وهم مبتدعة خراصون .. " (١)

---

(١) انظر هذه الأحكام ـ وأمثالها ـ فى كتاب [خطر تقسيم التوحيد على عقائد المسلمين ص ٥، ٦، ١٦، ٣٦ طبعة القاهرة ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م] وهو كتاب صدر ضمن سلسلة كتب مهربة ، صدر منها أكثر من عشرين كتابا ، وجميعها موضوعة على شبكة الإنترنت

أما شيخ الإسلام ابن تيميه ـ والذى يعده علماء مدرسة الإحياء والتجديد فى عصرنا الحديث من أبرز مجددى الإسلام ـ فإنه ـ ينظر " الطريقة العزمية " ـ وعلى صفحات إعلامها :

• " المقتدى بأسلافه كلاب النار الحروريين ـ [الخوارج] ـ والذين كفروا كثيرا من الصحابة . وذلك عند ما حمل الآيات الواردة فى الكفار على المؤمنين "

• " وبضاعته ـ من السب والقذف والتكفير ـ هى بضاعة سفلة الناس "

• " وهو جاهل بأصول الدين جهلا مركبا . وقد حكم على نفسه بالشرك وعبادة غير الله وهو لا يشعر ، فصدق عليه المثل العربى (رمتنى بدائها وانسلت).. "

• " وهو مكذب لنصوص كتاب الله تعالى وصريح سنة نبيه ﷺ . ومرتكب بذلك جرما عظيما . وصاحب حكم فاجر . وملبس وكذاب وجبان وجاهل باللغة العربية وبأصول الدين "

• " وهو الذى استبدل عقيدة التثليث بعقيدة التوحيد عندما اخترع (توحيد الألوهية) فشاق به رسول الله ، واتبع فيه غير سبيل المؤمنين ، زيادة على افترائه على الله فى كتابه العزيز . لقد حاول ابن تيميه جاهدا أن يدخل عقيدة التثليث فى عقيدة المسلمين ، فلما عجز عن ذلك اكتفى بتقسيم التوحيد إلى قسمين هما توحيد الألوهية (الأب) وتوحيد الربوبية (الابن) ولقد اختار ابن تيميه فى كيفية إدخال التثليث فى عقيدة المسلمين فلم يتمكن إلا من إدخال (الأب والابن) . وجاء محمد بن عبد الوهاب ـ فى القرن الثانى عشر الهجرى ـ بإيعاز من ابن تيمية ـ لما عجز عنه ابن تيمية ،

و [illegible] التثليث بصفاته بوحدة الأسماء والصفات [illegible] الروح [illegible]

[illegible] تورج [illegible] التثليث في عقيدة بعض المسلمين ، فلن [illegible] القرن الثاني عشر الهجري ، الذي ظهر فيه [illegible] الوهاب

* والمقصد من إدخال عقيدة التثليث في عقيدة المسلمين هو [illegible] المسلمين الموحدين بغيرهم من الأمم الوثنية والنصرانية [illegible] مع التأكيد [illegible] أن الأمة الإسلامية مشركة [illegible] الوهاب [illegible] [illegible] [illegible] الأمة [illegible] [illegible] الذي هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان [illegible] هذه الشجرة الخبيثة من فوق الأرض حتى لا يبقى لها قرار [illegible] (٢)

* [illegible] بن تيمية [illegible] وهو [illegible] الدليل [illegible] الفقه جهلا مركبا ، كما هو [illegible] بالنعمة [illegible] الذين [illegible] حرمة النبي ﷺ ولذلك استحق أن يوصف بالخبيث [illegible] [illegible] الذي في قلبه مرض الريع المتتبع [illegible] من الكتاب والسنة

(١) [illegible] ص٥٦، ٦٦ [illegible]
[illegible] كتاب [illegible] العقائد الوثنية والشرائع السماوية [illegible] في ذات السلسلة [illegible] ص ١٠ ، ٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢ طبعة القاهرة ٢٠٠٥ م

(٢) [illegible] في ذات السلسلة [illegible] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥م

ابتغاء الفتنة ، والمكيد لرب العالمين ، والخارج من الدين ، والمدارى بأصفيائه المنتخبين وحلفائهم الراشدين ، أتباعهم الموفقين [1]

تلك نماذج — مجرد نماذج — من "الفحص الفكرى الذى قدمته ، وتقدمه سلسلة من الكتب الجمهورية ، التى تصدر شهريا ، والتى صدر منها — عند كتابة هذه الدراسة — أكثر من عشرين كتابا " والتى توضع على موقع الطريقة العزمية على الشبكة العالمية للمعلومات " لتقدم الفتنة الفكرية لعامة المسلمين ، ولتقدم لأعداء الإسلام مادة غزيرة وخطيرة فى حربهم على الوهابية التى وضعها الأمريكان ويضعونها — بعد فاجعة سبتمبر ٢٠٠١ م — فى مستوى الشيوعية ، ويسمونها الفاشية الإسلامية ! ويشنون عليها أشرس الحملات والهجمات

لقد طلب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف — منع هذه الكتب من التداول ، درءا للفتنة بين المسلمين ، لكن الشبكة العالمية للمعلومات قد أتاحت ، وتتيح — الاطلاع عليها لجمهور واسع وأعرض من جمهور القراء للكتاب ! ..

(١) المرجع السابق ص ٣٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧

-٧-

التكفير الوهابى للشيعة .. والصوفية .. والأشعرية

ولم تكن السلفية الوهابية ـ التى تعرضت وتتعرض للتكفير من قبل بعض الصوفية ـ ومن قبل الشيعة ـ لم تكن أقل حظا من خصومها فى تبادل تهمة التكفير والتعايش بها سواء كان ذلك فى كتبها الجمهورية أو على مواقعها على الشبكة العالمية للمعلومات ففى كل منابر الإعلام هذه نجد شيوع هذه " الفاحشة الفكرية " ـ تهمة التكفير

* فالصوفية ـ بنظر هذه السلفية الوهابية ـ هم " مشركو العصور المتأخرة وهم أشد كفرا من كفار قريش ـ ذلك أن كفار قريش كانوا إذا ضاقت بهم الحيل وعلموا عجز آلهتهم عن تحقيق مرادهم ، فزعوا إلى الله تعالى ، أما هؤلاء الصوفية ـ كفار الأزمنة المتأخرة ـ فشركهم ـ الله يزداد فى المصائب والمحن ، فيفزعون إلى آلهتهم إلى القبور والأولياء ، ويبادونها بالغوث والمدد والأخذ باليد فهم أشد كفرا من أبى جهل وأبى لهب . "

* " واتباع هذه الطرق الصوفية ملاحدة وأنانية وقبوريون ومنحرفون وأمرهم واضح فى الضلال والبعد عن الصراط السوى

* " والفقه والتصوف لا يجتمعان ، ومن كان فقيها صالح الحال ، ثم تصوف ، فإنه ينقلب إلى الأسوأ ، وذلك لأن التصوف هو الاخطبوط والسرطان الفتاك والبلاء الماحق الذي تشيع فيه التعاليم الوثنية ، وعلى رأسها عقيدة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود .

* " والصوفية ردة جاهلية ونتاج وثني صريح جاء من الهند أو من فارس ، وأصحاب هذه الردة الجاهلية إنما يعتدون الأضرحة والأولياء "

* هكذا ، وبهذه الأحكام التكفيرية - ومثلها كثير - طفحت صفحات المواقع السلفية الوهابية على الشبكة العالمية للمعلومات - حول التصوف والمتصوفين ..!

* * *

كذلك تكفّر هذه السلفية الوهابية كل مذاهب الشيعة وفرقها

فمذهبهم هو مذهب الضلال ، وأعمالهم شركية ، كالاستغاثة بعلي والحسين - رضي الله عنهما - "

* كما تجتهد هذه السلفية الوهابية في استخراج " الفواحش الفكرية الشيعية " ، التي تحكم بالكفر والردة واللعن على صحابة رسول الله ﷺ وعلى جمهور أهل السنة ، استخراج هذه " الفواحش الفكرية " من بطون الكتب التراثية للشيعة ، لتعيد نشرها وإشاعتها بين العامة والجمهور "

* * *

بل ولا تنسى هذه السلفية الوهابية أن تعمم " فوحشها الفكرية على الأشعرية ـ الذين يمثلون ٩٩% من جمهور أهل السنة والجماعة " ـ وذلك عندما تحكم على عقيدتهم .

" بالفساد .. والتبديع . والتفسيق " وأحيانا " بالتكفير . أو ما يشبه التكفير " !! .

وتنشر ذلك " الفحش الفكرى " على صفحات مواقعها بالشبكة العالمية للمعلومات " .

* * *

وهكذا تحولت الكتب الجمهورية ، ومواقع الإنترنت ـ عند هذه السلفية الوهابية ـ إلى ساحة يتقاذفون فيها مع خصومهم هذه " الفواحش الفكرية " ، التى تمزق وحدة الأمة الإسلامية وتوهن عزيمتها ومنعتها فى مواجهة أعدائها ـ الذين تجاوزوا خلافاتهم التاريخية وتناقضاتهم الدينية . وتحالفوا جميعًا لاجتياح عالم الإسلام ولغة الإسلام ودين الإسلام !! ..

- ٨ -

النزعة التكفيرية عند الشيعة

وإذا كانت الشيعة ـ بفرقها المختلفة المعتدلون منهم ـ كالزيدية ، والمتوسطون منهم ـ كالإثنى عشرية ـ ، والغلاة منهم ـ كالإسماعيلية والنصيرية والدروز ـ تمثلون أقل من ١٠% من تعداد المسلمين ، بينما يمثل أهل السنة والجماعة ٩٠% من تعداد الأمة فإن وقوع الشيعة في مستنقع التكفير لأهل السنة قد شمل جمهورهم ـ باستثناء الزيدية بينما لم يقع في مستنقع التكفير للشيعة ـ من أهل السنة ـ سوى قطاع من المتسيسين ، لا يتجاوز عددهم الملايين التي تعد على أصابع اليدين

بل إن تراث الشيعة ، في المصادر المعتمدة ، التي لم ترَ حتى اليوم في الحوزات العلمية ، والتي تكون العقل الفقهي للمراجع الشيعية الذين يقودون جماهير المقلدين إنما يعم هذا التراث فحشة التكفير تشمل جمهور صحابة رسول الله ﷺ وأزواجه كما أنهم يعممون هذه الفحشة على جمهور الأمة ، بأجيالها المتتابعة ، منذ عصر الإسلام وحتى هذه اللحظات !!

* لقد طفحت " الأحاديث التي نسبوها إلى أئمتهم ، واحتلت مصادرهم في العقائد وأصول الدين والتفسير لقرآن الكريم ، وكتب

الرجال . والتاريخ بالروايات التي تعمم فاحشة التكفير والارتداد والبغي لجمهور الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وجمهور أمة الإسلام

ووضعت هذه الفواحش الفكرية " على العديد من المواقع على الشبكة العالمية للمعلومات سواء من قبل متعصبي الشيعة ، أو من قبل خصومهم السلفيين !!

ومن هذه " الفواحش الفكرية التكفيرية " على سبيل المثال

* الحكم بالكفر والردة على أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين ـ رضي الله عنهم ـ فقد جاء في (الأصول من الكافي) للكليني (٣٢٩هـ ٩٤١م) [1]

" عن أبي عبد الله ـ جعفر الصادق ـ أن الآية (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا) [2] قد نزلت في أبي بكر وعمر ، وعثمان ، وكذلك آية (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم) [3] . وأنهم (آمنوا بالنبي في أول الأمر ، وكفروا حين عرضت عليهم ولاية عليّ بن أبي طالب . وأنهم ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية عليّ) !! [4] .

---

(١) هذا الكتاب ـ عند الشيعة الإثني عشرية ـ بمثابة (صحيح البخاري) عند أهل السنة . والكليني هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٩هـ .

(٢) آل عمران : ٩٠ .

(٣) محمد : ٢٥ .

(٤) (الكافي) جـ ١ ، ص ٤٢٠ طبعة دار الكتب الإسلامية ، بيروت

* كما ينسب الكليني ـ في (الروضة من الكافي) ـ إلى أبي عبد الله جعفر الصادق ـ في تفسير الآية (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) [1] أنهما أبو بكر وعمر !! [2].

* أما المجلسي ـ محمد باقر ـ صاحب (مرآة العقول) فإنه يقول في شرحه للكافي ، ورواية الكليني هذه ـ جـ٢٦ ، ص٤٨٨

إن الجن المذكور في الآية هو عمر بن الخطاب ، سمي بذلك لأنه كان شيطانا ، إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنى ، أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان !!

* وينسب الكليني إلى أبي عبد الله ـ جعفر الصادق ـ أن هؤلاء الخلفاء الثلاثة ـ أبو بكر وعمر وعثمان (لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم) !! [3].

* ويقول المجلسي في (العقائد) ص٥٨ :

إن مما عد من ضروريات بين الشيعة الإمامية البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية " ، كما يصفهم ـ في كتابه (حق اليقين) ص٥١٩ ـ بأنهم " الأصنام الأربعة " وأنهم وأتباعهم وأشياعهم " شر خلق الله على وجه الأرض " !!

---

(١) فصلت ٢٩

(٢) الكليني (الروضة من الكافي) جـ٨ ، ص٣٣٤

(٣) (الكافي) جـ١ ، ص٣٧٣

كما يروي ـ في كتابه (بحار الأنوار) جـ ٣ ، ص ١٣٠ ـ عن موسى بن علي بن الحسين ، قوله في أبي بكر وعمر [illegible] كافران ، كافر من أحبهما » !! ..

* [illegible] الكركي [illegible] في كتابه (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ص ٠٤ ـ [illegible] عن عمر بن [illegible] عفان ﷺ : « إن من لم يجد في قلبه عداوة لعثمان [illegible] ولم يستحل عرضه ، ولم يعتقد [illegible] فهو عدو لله ورسوله ، كافر بما أنزل الله » !!

* بل إن من [illegible] الشيعة الإمامية ـ [illegible] ـ [illegible] لعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية [illegible] وعائشة وحفصة [illegible] أبي سفيان [illegible] الحكم [illegible] معاوية [illegible] عقب كل صلاة !!

و[illegible] الحر العاملي [illegible] في كتابه (وسائل الشيعة) جـ ٢ ، ص ١٠٣٧ [illegible] عنوانه [illegible] (استحباب لعن أعداء الدين عقيب الصلاة بأسمائهم) [illegible] إلى أبي عبد الله ـ جعفر الصادق ـ [illegible] [illegible] كل مكتوبة [illegible] من الرجال وأربع من النساء » .

* و[illegible] المرعشي [illegible] في كتابه (إحقاق الحق) جـ [illegible] ، ص [illegible] وصف أبي بكر وعمر [illegible] بصنمي قريش [illegible] (1) [illegible] عليهما » وهو نص طويل ، [illegible] شيعية [illegible] على [illegible] (التشيع [illegible] فيه من [illegible] بين العامة ، [illegible] و[illegible]

(1) [illegible] كتاب [illegible] عمر ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ !!

مستمير !! وتناقضها في [illegible] الدعاة السلفية الوهابية ، لتفضيح الشيعة بين الناس !!

" وعلى الرغم من أن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [illegible] بالإيمان والأخوة في الدين حتى [illegible] لأن الخلاف والقتال [illegible] في السياسة والخلافة [illegible] وهي من الفروع ، التي يؤخر حتى المخطئ فيها [illegible] ولم يكن الخلاف في [illegible] الاعتقاد الديني فقال كرم الله وجهه [illegible] في [illegible] (٣٧هـ/٦٥٧م) :

" لقد التقينا [illegible] في الإسلام [illegible] ولا يستزيدهم في الإيمان [illegible] ولا يستزيدونه [illegible] الأمر [illegible] ما [illegible] هؤلاء [illegible] من التكفير والافتراق في الدين [illegible] الجماعة [illegible] (أي الجماعة السياسية) [illegible] في الدين [illegible] ورأينا أننا على الحق دونهم " (١) .

---

(١) الباقلاني : التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، تحقيق : محمود الخضيري و [illegible] محمد عبد الهادي أبو ريدة ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٤٧م ، وابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة [illegible] ص [illegible] ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٥٩م .

على الرغم من ذلك ، ينقل الشيخ المفيد ـ في كتابه (أوائل المقالات) ص٤٥ ـ اتفاق الإمامية ـ على تكفير الذين قاتلوا عليًّا ، ويصفهم " بالناكثين والقاسطين والكفار والضلال الملعونين المخلدين في النار " !!

* ويحكم شيخ الشيعة جعفر مرتضى ـ في كتابه (حديث الإفك) ص١٧ على أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالكفر !

ويقول عنها يوسف البحراني ـ في كتابه (الشهاب الثاقب في بيان معنى المناصب) ص٢٣٦ " إنها ارتدت بعد موت النبي ﷺ كما ارتد بذلك النجم الغفير المجزوم بإيمانهم سابقًا ، وأنها مستحقة للنار واللعن والعذاب ، وإن ذلك من مستلزم مذهب الشيعة وأحقية أئمتهم الإثني عشر " !!

أما النجفي القمي ـ محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي النجفي القمي ـ المتوفى سنة ١٠٩٨م ـ فيقول عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في كتابه (الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين) ص٦١٥، ٦١٦ :

" ومما يدل على إمامة أئمتنا الإثني عشر ، أن عائشة كافرة مستحقة للنار ، وهو مستلزم لحقية مذهبنا وحقية أئمتنا الإثني عشر ، لأن كل من قال بخلافة الثلاثة ـ (أبي بكر ، وعمر ، وعثمان) ـ اعتقد إيمانها وتعظيمها وتكريمها ، وكل من قال بإمامة الإثني عشر قال باستحقاقها اللعن والعذاب " !!

* ولقد ذهب كبار علماء الشيعة الإثني عشرية إلى تعميم الحكم بالكفر والشرك على كل من عداهم . فالمجلسي ـ في كتابه (بحار الأنوار) جـ٢٣ ص٣٩٠ ـ يقول :

اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده يدل على أنهم مخلدون في النار " !

ويؤكد على ذلك شيخهم عبد الله المامقاني - في كتابه (تنقيح المقال) جـ١ ص٢٠٨ - فيقول

" وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكفر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن اثني عشريا " !

* وحسين الحمداني في كتابه (الأربعين) ص٥١١ - ٥١٣ ، يجعل قبول الإيمان بالله ورسوله مقصورا على الشيعة المؤمنين بالأئمة الإثني عشر دون غيرهم !

وكذلك الحال - عنده في قبول الأعمال - فقد عقد في هذا الكتاب فصلا - ص٥١٢ - جعل عنوانه (فصل في بيان ان ولاية أهل البيت شرط لقبول الأعمال) !! . فكأن الاختلاف معهم حول اي من التهم الإثني عشر شرك محبط للإيمان ، ومحبط للأعمال الصالحات !.

* بل وبلغ بهم الأمر حد إعلان أن المفارقة بينهم وبين سائر من عداهم إنما تنحصر المفارقة في الألوهية والنبوة !! . فذكر شيخهم نعمة الله الجزائري - المتوفى سنة ١١١٢هـ - في كتابه (الأنوار النعمانية) جـ٢ ، ص٢٧٩ (١) :

" انه لم يجتمع معهم على إله ، ولا نبي ، ولا على إمام ، وذلك أنهم يقولون إن ربهم هو الذي كان محمداً نبيُه ، وخليفته أبو بكر ، ونحن

---

(١) طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت .

لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي ، بل نقول : إن الرب الذي خليفته أبو بكر ليس ربنا ، ولا ذلك النبي نبينا " !!

* ويروي الكليني هذا الحكم القاطع بكفر كل من عدا الشيعة الإثني عشرية ، يرويه — في (الكافي) جـ١ ، ص٢٢٣ — عن الرضا ، الذي يقول :

" إن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق ، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة " !!

* وإذا كانوا يطلقون على كل من عدا فرقتهم — الإثني عشرية صفة "النواصب" — أي الذين ناصبوا أئمتهم العداء — فإن "الناصبي" عندهم — كما يقول نعمة الله الجزائري — في كتابه (الأنوار النعمانية) جـ٢ ، ص٣٠٦، ٣٠٧ — : " نجس ، وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي ، وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية " !

ويعتبره شيخهم الكبير ومرجعهم محمد الشيرازي — في موسوعته (الفقه) جـ٤ ، ص٢٦٩ :

" فإن من جحد إماما من الأئمة الإثني عشر ، يمر في ذلك سائر أقسام الشيعة غير الإثني عشرية — هم " كمن قال إن الله ثالث ثلاثة " !!

* وحتى الإمام أبو القاسم الخوئي — وهو الذي توفي من سنوات قليلة — فإنه يقول — في كتابه (مصباح الفقاهة) جـ٢ ، ص١

" إنه ثبت بالروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ، ووجوب البراءة منهم ، وإكثار السب عليهم ، واتهامهم ، والوقيعة فيهم

ـ أي غيبتهم ـ لأنهم من أهل البدع والريب ، بل لا شبهة في كفرهم ، لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم يوجب الكفر والزندقة ، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية " !!

* وإذا كان جمهور أهل السنة ، هم ـ في العقائد ـ على المذهب الأشعري ـ نسبة إلى إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري (٢٦٠ـ٣٢٤هـ ٨٧٤ ١٩٣٦م) ـ فإن الأشعرية ـ بنظر الشيعة الإثني عشرية ـ كفار ، بل وأسوأ من المشركين والنصارى ! وبعبارة الشيخ نعمة الله الجزائري ـ في كتابه (الأنوار النعمانية) جـ٢ ، ص٢٧٨ ـ

" فالأشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح ، بل عرفوه بوجه غير صحيح ، فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار ، فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالاً في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى ونفذ نبينا وانفصلنا عنهم في باب الربوبية ، فربنا من تفرد بالقدم والأزل ، وربهم من كان شركاؤه في القدم ثمانية " !!

* بل لقد صعد بعض علماء الشيعة بالمفارقة والعداء والتكفير من نطاق أصول الاعتقاد إلى نطاق " العنصرية " أيضاً ، فذكر الشيخ المفيد في كتابه (الأمالي) ص١٦٩ .

" إنه ليس أحد ظاهر المولد ، وليس أحد على ملة الإسلام إلا الشيعة " !

* * *

هذه نماذج وأمثلة ـ مجرد نماذج وأمثلة ـ لهذا " الفحش الفكرى " ، الذى أثمره التعصب الطائفى والضلال المذهبى ضد جمهور أمة الإسلام ، الذين يعبدون الله وحده ، ويؤمنون بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ محمد بن عبد الله ﷺ ـ ويحبون آل بيته ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ـ بنص القرآن الكريم ، ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ [1]

* * *

وإذا كان هذا " الفحش الفكرى " قد ظل لقرون طويلة وقفا على التدريس فى الحوزات العلمية الشيعية ، وعلى الباحثين فى أصول المذهب الشيعى وعقائده ، وتحفظه " التقية " فى أغلب الأحيان عن الثقافة العامة للشيعة ، فإن ثورة وسائل الاتصال الحديثة ـ بما فى ذلك " مواقع " الشبكة العالمية للمعلومات ـ قد أشاعت هذا " الفحش الفكرى " بين العامة والجمهور ، فأشعلت نيران الفتنة بين جماهير الأمة ، فى وقت تجتاح فيه " الصليبية ـ الصهيونية " أمة الإسلام وعالمه وحضارته ، دور تمييز بين الطوائف والمذاهب والأقطار والقوميات فى عالم الإسلام !

بل إن المفارقات الغريبة قد جعلت نفراً من السلفيين ـ فى حربهم ضد الشيعة ـ ومحاولتهم فضح نزعتهم التكفيرية ـ يسهمون فى إشاعة هذا " الفحش الفكرى " ، وذلك عندما ينقلونه من بطون الكتب التراثية

---

(١) الأحزاب : ٣٣

المتخصصة إلى الكتب الجمهورية ، ومواقع الشبكة العالمية للمعلومات !! [1] .

الأمر الذي يستدعي وقفة جادة لوقف هذا الخطر الذي يشعل نيران التكفير في صفوف الأمة . وينشر لهيب هذه النيران بين العامة والجماهير

• • •

إن المجتمع الشيعي ـ في الحوزات والجامعات ومؤسسات البحث والدراسة ـ يزخر بالعقلاء من الفقهاء والعلماء ونحن من موقع الحب والتقدير والإجلال ـ نتوجه إلى هؤلاء العلماء العقلاء فنقول لهم :

إن الذين أزالوا طاغوت الفرس والروم في أربعة عشر قرنا وفتحوا أبواب كل البلاد أمام الإسلام هم الصحابة ، الذين صنعوا هذا المجد التاريخي تحت قيادة أبي بكر الصديق (٥ق هـ ـ ١٢هـ ، ٥٧٣ـ٦٣٤م) والفاروق عمر بن الخطاب (٤ق هـ ـ ٢٣هـ ـ ٥٨٤ـ١٦٤٤م) . أي أن هؤلاء هم الذين أدى بشرة الله ـ بوصول الإسلام إلينا وإليكم ولولاهم فلربما كنتم تعبدون النار أو الصنيان أو العجل أبيس حتى هذه اللحظات !!

---

(١) انظر : علي سبيل المثال : كتاب الشيعة الاثني عشرية وتكفيرهم بعموم المسلمين، تأليف عبد الله بن محمد السلفي ، طبعة مكتبة الرضوان السلفية ، كوم حمادة ، البحيرة ، مصر سنة ٢٠٠٤م .. وكذلك العديد من المواقع السلفية على شبكة "الإنترنت" .

فهو يجوز — في العقل والمنطق والحكمة — أن يكون [illegible] من كل
السبب في نعمة الإسلام التي هي أعظم نعم الله سبحانه.

* [illegible] في طهران [illegible] في أولى [illegible]
الشيعة، الذين يجاورون [illegible] العقلانية [illegible]
يمرون وحدة الأمة الإسلامية [illegible] وحشي [illegible] من [illegible]
الشيعة [illegible] في صفوف [illegible] الشيعة [illegible] التي
تقرب إلى الله سبحانه وتعالى [illegible] كل [illegible]
مستحبة — فيقول [illegible] اللهم العن أبا بكر ثم عمر [illegible]

وإذا كنت قد شعرت بالحزن [illegible] يومئذ [illegible] هذا
الفحش الفكري بين العامة من الشيعة [illegible] هذا الفحش الفكري [illegible]
[illegible] بسبب [illegible] البعض إلى الله سبحانه وتعالى [illegible]
[illegible] هذا الفحش الفكري [illegible]
[illegible] بممارسة العامة [illegible] فكر [illegible]
[illegible] التي تدرس في الحوزات العلمية، وتشكر [illegible] وتصطبغ
عقول الفقهاء والعلماء، والمراجع التي [illegible] العوام [illegible]
[illegible] بالمجان [illegible] نشر ومكتبات، ويصنعه البعض [illegible]
الشيعة [illegible] على مواقع الشبكة العالمية للمعلومات ليشيع
بين العامة والجماهير [illegible]

* وهذا هو المرعشي — القاضي ضياء الدين نور الله التستري
(١٩٥٦ [illegible] هـ ١٥٠٩ — ١٦٠٠م) يورد في كتابه (إحقاق الحق [illegible]

الباطن) ـ جـ [illegible] ، ص ٩٦ ـ [illegible] على أبي بكر الصديق [illegible] عمر بن الخطاب ، الذي يزعمون أنهم يتقربون به إلى الله [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] اللهم صل على محمد [illegible] اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما ، وأفكيهما وابنتيهما [illegible] الذين خالفا [illegible] ، وأنكرا وحيك [illegible] وجحدا [illegible] ، وغيرا [illegible] ، وحرفا كتابك ، وعطلا أحكامك [illegible] ، وأبدلا [illegible] ، وعاديا [illegible] ، ووالياً [illegible] ، وحرباً [illegible] ، وأقسما [illegible]

اللهم العنهما ، وأتباعهما [illegible] ، ومحبيهما [illegible] ، وعاليه [illegible] ، وأبناء [illegible] ، وأرث [illegible] ، وجحد [illegible] ، وأشركا [illegible] ، فعظم [illegible] ، وما [illegible] ، لا [illegible] ولا [illegible]

اللهم العنهم بعدد كل منكر [illegible] ، وحق [illegible] ، وستر [illegible] ، ومؤمن [illegible] ، ومنافق [illegible] ، وولي [illegible] ، وظرف [illegible] ، وصادق [illegible] ، وكافر [illegible] ، وعام [illegible] ، وفرض [illegible] ، وأمر [illegible] ، وشر [illegible] ، وحكم [illegible] ، وكفر [illegible] ، وكذب [illegible] ، وورث [illegible] ، وفي [illegible] ، وسحت [illegible] ، وحبس

---

(١) [illegible] أمهات المؤمنين عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ

(٢) [illegible] أن اللعن والدعاء ليس فقط على أبي بكر وعمر ، وإنما على جميع [illegible] الإسلامية ـ ٩٠% من المسلمين [illegible]

استحلوه ، وباطل أسسوه ، وجور بسطوه ، وظلم نشروه ، ووعد أخلفوه ، وعهد نقضوه ، وحلال حرموه ، وحرام حللوه ، ونفاق أسروه ، وغدر أضمروه ، وبطن فتقوه ، وضلع كسروه وفدك) ، وجنين أسقطوه ، وصك مزقوه ، وشمل بددوه ، وعزيز أذلوه ، وذليل أعزوه ، وحق منعوه ، وإمام خالفوه .

اللهم العنهم بعدد كل آية حرفوها ، وفريضة تركوها ، وسنة غيروها ، وأحكام عطلوها ، ورسوم منعوها ، وأرحام قطعوها ، وشهادات كتموها ، ووصية ضيعوها ، وأيمان نكثوها ، ودعوى أبطلوها ، وبيعة أنكروها ، وحيلة أحدثوها ، وخيانة أوردوها ، وعقبة ارتقوها ، ودباب دحرجوها ، وأزياف لزموها ، وأمانات خانوها .

اللهم العنهما في مكنون السر ، وظاهر العلانية لعناً كثيراً دائماً أبداً سرمداً لا انقطاع لأمده ، ولا نفاد لعدده ، لعناً يغدو أوله ، ولا يروح آخره ، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم ، والمائلين إليهم ، والناهضين بأجنحتهم ، والمقتدين بكلامهم ، والمصدقين بأحكامهم

(قل أربع مرات) اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار ، آمين رب العالمين .

(ثم تقول أربع مرات) اللهم العنهم جميعاً

اللهم صل على محمد وآل محمد ، وأغنني بحلالك عن حرامك ، وأعذني من الفقر . رب إني أسأت وظلمت نفسي ، واعترفت بذنوبي ، وها أنا بين يديك فخذ لنفسك رضا نفسك لك العتبى ، لا أعود ، فإن عدت

فعد عليّ بالمغفرة والعفو لك بفضلك وجودك ومغفرتك وكرمك يا أرحم الراحمين .

وصلّ الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين برحمتك يا أرحم الراحمين " (١) .

* * *

فهل هذا ـ " الفحش الفكري " ـ معقول ؟!

وهل هذا يليق بمن يتحدثون عن وحدة الأمة الإسلامية في مواجهة " الصليبية ـ الصهيونية " التي تعصف بكل ما هو إسلامي ، دون تمييز بين مذاهب المسلمين ؟!

وهل نظل هكذا عاجزين ـ ولا أقول راضين ـ أمام هذه " الألغام المتفجرة " ، التي تستخدم صباح مساء في كسر شوكة الوحدة الإسلامية ؟!

إننا نتوجه بهذه التساؤلات إلى العلماء العقلاء الذين تمتلئ بهم فضاءات الشيعة وجامعاتها ، ولا تخلو منهم الحوزات العلمية التي يتخرج منها هؤلاء العلماء ! ..

---

(١) (الشيعة الاثنى عشرية وتكفيرهم لعموم المسلمين) ص٤٣ـ٤٥

ـ ٩ ـ

حقائـــق .. وأوهـــام

عندما قامت الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م ، بقيادة آية الله الخميني الذي حرك الجماهير الشعبية الإيرانية على نحو غير مسبوق في التاريخ الإيراني ـ ، انبهرت هذه الثورة جماهير الأمة الإسلامية ، فتعاطفت معها ، ومنحتها التأييد والولاء ، على الرغم من الموقف المعادي لهذه الثورة من قبل الاستعمار والصهيونية والكثيرين من الحكام في وطن العروبة وعالم الإسلام .

واليوم ، يتكرر ذات المشهد ـ من التأييد الشعبي الإسلامي ـ إزاء الصمود البطولي الذي قام به المجاهدون من شباب "حزب الله" ـ الشيعي ـ في لبنان ، أولئك الذين يقفون الجيش الصهيوني ـ ومن ورائه أمريكا ـ درساً سيكون له ما بعده في سجل الصراع التاريخي بين أمتنا الإسلامية وبين الصليبية العربية وربيبتها الصهيونية ـ إن شاء الله ـ .

• وكما حدث بالأمس ـ عندما قامت الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م ـ عندما حاول البعض ربط الثورة والثورية بالمذهب الشيعي ، وبثقافة الجهاد والاستشهاد لدى هذا المذهب ، للقيام بتحويل بعض الشباب عن المذهب السني إلى التشيع ، تتكرر ذات الأفكار وذات المحاولات ، لإقناع بعض الشباب ، المنبهر بأداء المقاومة الشيعية في لبنان بالتحول عن السنة إلى

الشيعة ، بدعوى الارتباط بين الثورية والروح الجهادية وبين الشيعة كمذهب وثقافة واتجاه ..

* وللإجابة على التساؤلات التي طرحها وبطرحها بعض الشباب حول هذا الموضوع - الهام والحساس - نقدم هذه الحقائق الفكرية والتاريخية - بل والمعاصرة - التي ترسم الصورة الصادقة ، من جميع جوانبها وزواياها ، أمام عقول الشباب .. وذلك إعانة لهم على التفكير الموضوعي السليم . وهي حقائق نقدمها في عدد من النقاط

(١)

يجب أن نميز بين الإعجاب بالمقاومة التي تقوم بها حركات التحرر الوطني والقومي والإسلامي ، وبين المذاهب والعقائد التي تعتنقها هذه الحركات . فكل شعوب الدنيا - وعلى مر التاريخ - ورغم تعدد ديناتها ومذاهبها - قد حاصرت غمار الثورات وكثيرون منها قد مارسوا البطولات في مواجهة الغزاة والمستبدين . ومن الخطأ البين أن يقودنا الإعجاب بثورات هذه الشعوب وبطولاتها إلى الإعجاب بديناتها وعقائدها ومذاهبها ، فنتحول عن عقائدنا ومذاهبنا إلى هذه العقائد والمذاهب التي تؤمن بها تلك الشعوب ..

* لقد انبهر العالم كله ببطولات الجيش السوفيتي في معركة " ستالينجراد " ، التي فتحت الطريق أمام انهيار النازية والفاشية - في الحرب العالمية الثانية - .. وذلك دون أن ينبهر أحد بالعقيدة الشيوعية

للجيش الأحمر ، أو ينبهر بماركسية قائد ذلك الجيش " جوزيف ستالين " (١٨٧٩ـ١٩٥٣م) !

* ولقد أبدت جميع المقاومة الفيتنامية الباسلة ، وأعجبت ببطولات الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار الفرنسي والأمريكي ، لكنها لم تمنح هذا الإعجاب للبودية الفيتنامية ، ولا لماركسية الحزب الشيوعي الفيتنامي ، الذي قاد هذا النضال وسطر تلك البطولات ، ومن ثم لم يتحول أحد منا إلى البودية ولا إلى الشيوعية ! ..

* ولقد وقف أحرار العالم ـ من كل الديانات والمذاهب والفلسفات ـ مع المقاومة البطولية للشعب الفرنسي ضد الاحتلال النازي ـ إبان الحرب العالمية الثانية ، وهي المقاومة التي قادها الشيوعيون الفرنسيون ، وانخرط فيها الوجوديون الفرنسيون ، وذلك دون أن يمتد هذا التأييد العالمي للشيوعية ، ولا للوجودية ، كمذاهب يعتنقها هؤلاء المقاومون !..

* واليوم يمنح أحرار العالم إعجابهم وتقديرهم لتيارات اليسار في أمريكا الوسطى والجنوبية ـ من " كاسترو " ـ في كوبا ـ إلى " تشافيز " ـ في فنزويلا ـ هذا اليسار الذي يقاوم الطاغوت الإمبريالي الأمريكي وذلك دون أن يعني هذا أن يتحول إلى المذاهب اليسارية التي يتمذهب بها هؤلاء المقاومون !..

* بل ولقد نسق لجماهير عريضة من شباب العالم أن قلبت بالمقاومة الأسطورية " لجيفارا " ، لكنها لم تقتل " بالماركسية " الشبيبة " الماوية " التي حركت هذا البطل الأسطوري " جيفارا " !

وهكذا يستبين لنا أن الربط العضوي والحتمي بين " المقاومة " وبين " مذهب " أهلها . ومن ثم الربط بين الإعجاب بهذه المقاومة وبين التحول إلى مذاهب أهلها . هو وهم كبير وخطير ، يروج له بعض الخبثاء في أوساط الذين لا يعلمون ولا يفقهون ! ..

(٢)

ثم . من قال إن التشيع قد ارتبط ـ تاريخياً ـ بالثورة والمقاومة لحكام الجور . وأن أهل السنة قد كانوا مستسلمين ، أو أقل مقاومة من الشيعة عبر تاريخ الإسلام ؟! ..

إن هذه المقولة ـ التي يروج لها الخبثاء في صفوف الجهلاء ـ هي الأخرى وهم من الأوهام . بل ومضادة للحقائق الصلبة التي امتلأت بها صفحات التاريخ .

* لقد فتح المسلمون الأوائل في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون . وأزالوا القوى العظمى التي استعمرت الشرق وقهرته دينياً وثقافياً ولغوياً وحضارياً . لأكثر من عشرة قرون . من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ـ٣٢٤ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد . إلى هرقل " (٦١٠ـ٦٤١م) ـ في القرن السابع للميلاد .

وبهذا الفتح الإسلامي المبين ، فتح هؤلاء الفاتحون الطريق أمام انتشار الإسلام من المغرب ـ غرباً ـ إلى الصين ـ شرقاً ـ ومن حوض نهر الفولجا ـ شمالاً ـ إلى جنوبي خط الاستواء .

وجميع هؤلاء الفاتحين — من الخلفاء والصحابة والمجاهدين — يتولاهم أهل السنة، ويصلون ويسلمون عليهم، ويعتبرونهم الأئمة والقادة الذين أقاموا الدين ونشروه، وأسسوا الدولة ومدوا سبيل الجهاد، وأتم الله على أيديهم هذه النعمة التي نعيش فيها وعليها حتى يومنا هذا، بل وكانوا هم المؤسسين لقواعد الحضارة الإسلامية التي أدرت العالمين.

بينما الشيعة — باستثناء أفرادية — قد حرموا أنفسهم — مع شديد الأسف — من هذا الرصيد التاريخي المجيد، وذلك عندما حكموا على جمهور هذا الجيل الفريد — من الصحابة — بالكفر والردة ... وأوجبوا لعنهم والبراءة منهم — والعياذ بالله ...!

بذلك، كانت هذه الفتوحات وهذه البطولات، التي لولاها لما نجحت شعوبنا في دين الإسلام، كانت رصيدا لتاريخ السنة في ميادين الفتوحات والبطولات والتحرير للأرض وللضمير ... ولا أثر لها في تاريخ الشيعة والتشيع — مع الأسف الشديد — ! ..

(٣)

وعندما جاء العرب الصليبي ليختطف الشرق من التحرير الإسلامي — إبان الحروب الصليبية (٤٨٩ - ٥٩٠ هـ = ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) — رأيناه يغتصب القدس وفلسطين والشام من الدولة الفاطمية الشيعية — التي كانت عقيدتها الباطنية بداية الانحطاط في التاريخ الإسلامي — كما يقول

جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) ووجد ـ على العكس من ذلك ـ دور الفروسية الإسلامية السنية ـ وخاصة الأيوبية (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) والمملوكية (٦٤٨ ـ ٩٢٢هـ ١٢٥٠ ـ ١٥١٠م) هي التي جاهدت وحاربت حتى استعادت الشرق وحررت مقدسات الإسلام من الصليبيين.

وإذا كان صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ ـ ٥٨٩هـ ١١٣٧ ـ ١١٩٣م) قد أصبح علماً على الجهاد الإسلامي عبر تاريخ الإسلام، فإنه هو القائد السني، الذي خلص بلاد الإسلام من انحرافات الشيعة الإسماعيلية الباطنية، كما خلص هذه البلاد من أشرس حملات الصليبيين، بينما هو مرفوض عند الشيعة ـ مع الأسف الشديد.[1]

وكذلك صنعت جماهير أهل السنة، وجيوشهم وقياداتهم، عندما حرروا تتار الإسلام من العراء الدنيوية المدمرة التي هدت الوجود الإسلامي، فالذين قهروا التتار في عين جالوت (٦٥٨هـ ١٢٦٠م) هم أهل السنة، والذين استعادوا بغداد من التتار هم أهل السنة، بينما الجناية التي فتحت أبواب بغداد أمام "هولاكو" (٢١١ ـ ٢٦٥م) كانت من الآخرين!!

إذن، فرضيت الجهاد والفداء والاستشهاد الذي حرر الشرق من القهر الاستعماري القديم، فتح أبواب هذا الشرق أمام الإسلام، إنما يصب في تاريخ السنة، الذي هو تاريخ جمهور الأمة، وكذلك الحال

(١) (الأعمال الكاملة) ص١٥٨ ـ ١٦١ دراسة وتحقيق محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٠٨م.

مع رصيد الجهاد والفداء والاستشهاد الذى حرر الشرق الإسلامى – مرة ثانية – من الصليبيين الذين أرادوا اختطاف هذا الشرق من الإسلام .

(٤)

وفى عصرنا الحديث – وبعد أن استغل الاستعمار الغربى " التشيع الصفوى الإيرانى " فى اضعاف الدولة العثمانية – ثم أخذ فى احتلال ولايات هذه الدولة الإسلامية الجامعة ، ولاية بعد ولاية ، حتى عمت بلوى الاستعمار – الإنجليزى ، والفرنسى والإيطالى – أغلب بلاد الإسلام من الذى قاد حركات التحرر الوطنى التى دقت هذه الإمبراطوريات الاستعمارية فى أرض الشرق الإسلامى ؟؟

إنهم أهل السنة ، الذين يكونون ٩٠% من تعداد أمة الإسلام – فهم الذين حرروا الجزائر من الغزو الاستعمارى الفرنسى ، وقدموا على مذبح حريتها قرابة المليونين من الشهداء !! وهم الذين حرروا مصر من الاستعمار الإنجليزى ، وتعود الى قيادة حركات التحرر الوطنى والقومى على امتداد قرن الإسلام فى آسيا وإفريقيا

وهم الذين قادوا ويقودون حتى هذه اللحظات حركات التحرر الوطنى والجهاد الإسلامى على أرض فلسطين ، والعراق والشيشان وكشمير وأفغانستان والصومال والسودان ، وأفغانستان إلى آخر ميادين الجهاد والتحرر الوطنى فى عالم الإسلام

بينما رأينا ـ ونرى ـ قطاعات من الشيعة ـ في العراق ـ يتحالفون مع أمريكا ضد المقاومة السنية للاحتلال ! ورأيت التشيع الإيراني يساعد أمريكا على احتلال أفغانستان لأسباب مذهبية ضيقة الأفق ـ ويصنع ذات الخطيئة مع أمريكا ضد العراق !

لذلك فإن الربط بين بطولة " حزب الله " على أرض لبنان وبين التشيع ـ كمذهب ـ هو خطأ فكري ووهم لا نصيب له من الصدق والموضوعية فهنا في لبنان شيعة أبطال ، يحاربون الصهيونية والاستعمار وهناك ـ في العراق شيعة ، فتحوا أبواب العراق أمام الغزاة الأمريكان ، وأمام الاختراق الصهيوني ، بل ويحثون بعداء على ظهور الدبابات الأمريكية ويحكمون الآن من السفارة الأمريكية في " المنطقة الخضراء " !

بل إن في إيران ـ التي تساعد " حزب الله " العربي تشيعاً فارسياً يضطهد ، ليس فقط أهل السنة الإيرانيين ، وإنما يضطهد ـ كذلك ـ الشيعة العرب والتركمان والأكراد في إيران !!

فالمذهب شيء والموقف الوطني والجهادي شيء آخر والصمود والبطولات ليست حكراً على مذهب بعينه ولا دين بذاته ولا فلسفة دون غيرها من الفلسفات كما يحاول بعض الخبثاء أن يوهموا بعض الذين لا دراية لهم بحقائق الفكر والمذاهب والتاريخ

بل إن تاريخ الشيعة ـ كمذهب ـ لم يعرف انحيازاتهم في الثورات ضد الحكام الظلمة وضد الاحتلال الأجنبي إلا في القرن العشرين ! فقد ظل طوال تاريخهم ـ منذ الإمام جعفر الصادق (٨٠ـ١٤٨هـ/٦٩٩ـ٧٦٥م) يعلقون الاشتغال بالسياسة والقيام بالثورة وبناء الدولة على عودة الإمام الغائب (٢٥٦هـ/٨٧٠م)

وكان أهل السنة هم الذين يقودون الثورات وحروب التحرر الوطني والقومي والجهاد الإسلامي طوال هذا التاريخ

* وبدا كنا نمنح الإعجاب والتأييد ـ كل الإعجاب والتأييد ـ للمقاومة الباسلة " لحزب الله " في لبنان و" لحماس " و" الجهاد " في فلسطين . فإننا نمنح الإعجاب للإسلام الذي يحرك الأمة ـ بالجهاد ـ ويدفعها إلى المقاومة . وليس لمذهب من المذاهب التي يحتضنها الإسلام . وإلا لتغيرت مذاهبنا ، بل وديانتنا تبعا للمذاهب والديانات التي سادت وتسود في المجتمعات التي قاومت وقاتلت الجبابرة والمستعمرين .

* ولو كان " المذهب " هو المعيار . فهل نطلب من الشيعة المعجبين ببطولات " حماس " في فلسطين ، أن يتحولوا من التشيع إلى السنة . كما يفكر البعض في التحول إلى الشيعة بسبب الإعجاب ببطولات المقاومة الشيعية في لبنان ؟؟!

[illegible]

[illegible] الوحدة الهيئة لأي مجتمع من المجتمعات هي مصدر هام من مصادر [illegible] المجتمع وتمسك سبحة الوصي ، بعضه على البعض ، في مواجهة الحضارات ـ الداخلية والخارجية ـ [illegible] هذه الوحدة المنشودة في المجتمعات العربية يعود الى مجتمعات صغيرة هشة لا تقوى على [illegible] وهي ضرورية حتى الضعف في وجه الخارج . ومن هنا كان الربح الحقيقي لشعبية في المجتمعات العربية ، [illegible] هذا الربح سهلا في المجتمعات الشعبية هو عدم امتلاك بعض الشعراء لهم وتجنب الخارجين على القانون "الأوراق" التي يلعب بها الاستعمار

[illegible] من هذا الحقد الحميد [illegible] من واجب [illegible] ان يفتح كل [illegible] وأبواب ، والمجد لجميع حركات التحرر الوطنية والقومية والتقدمية [illegible] في [illegible] وفيتنام والعراق ، [illegible] وكوبا والصومال وغينيا [illegible] الخ .. ولكن ، دون أن نقع في الوهم الذي يقع فيه أصحاب [illegible] الذين هم في حالة عدم [illegible] وهم في حالة [illegible] فيحسبون الريح [illegible] الوقوع ثمارا ناضجة من جميع الأنواع

[illegible] يجب الانتباه الى عدم الوقوع في هذا الخطأ الذي [illegible] لأن قيمة المجتمعات التي تعيش حركات التحرر عليها [illegible]

وأحب أن أختم بحديث قصير عن الشعب الذي أعيش بينهم في العراق .. وتتفاقم همومهم في مصر !! .

وعندما جاء بونابرت ١٧٩٩ - ١٨٢١ م [illegible] مصر [illegible]

[illegible] على الأقباط في مصر [illegible] على اليهود في [illegible]

[illegible] الأقباط ولا [illegible] [illegible] الأمة القبطية

[illegible] الكرامة [illegible]

لا يمكن فصلها عن الإنسان ".

[illegible] الذي [illegible] من الأقباط [illegible]

" [illegible] الأمة القبطية [illegible] من الحماسة والإخلاص [illegible]

الجمهورية الفرنسية " !!

[illegible] كلمات بونابرت عن الأقباط [illegible]

إنهم أناس [illegible] في البلاد [illegible] يجب مراعاتهم لأنهم الوحيدون الذين

في يدهم مجمل الإدارة [illegible] لقد حصلت منهم على سجلات [illegible] حول

قيمة الضرائب المفروضة على مصر ".

[illegible]

[illegible] في مجتمعات [illegible]

[illegible] في المجتمعات [illegible] في

المجتمعات الشيعية .

وعلى من يفكر في أن يتحول من السنة إلى الشيعة - في مجتمع

[illegible]

[illegible] نشرها عادل جندي - تحت عنوان " المخططات [illegible] "

[illegible]

جيوده ضد ذلك المحيط ! [illegible] الحال مع الشيعي الذي يفكر في التحول إلى السنة — في محيط شيعي — .

فنحن جميعا مسلمون [illegible] كل طاقات [illegible] من الفهم الاستعماري [illegible] في العبث المذهبي ، الذي لن يفيد منه سوى الأعداء !

(٧)

[illegible] كل ما [illegible] الجزائر أواخر ثمانينات القرن العشرين — في "منتدى الفكر الإسلامي" وقلت له :

[illegible] بضعة ملايين ، في أمة يقترب [illegible] من المليار ونصف المليار .. فلم هذا الجهد الكبير الذي تبذلونه في هذا الميدان ؟!

فكان جوابه :

[illegible]

فقلت له :

— [illegible] — نحن الأشعرية ، المالكية — ونحن نمثل أكثر من ٩٩٪ من أهل السنة [illegible] لا نلقي إليهم بالا ! ..

وفي ... التاريخ ... [illegible]

... الصحيحة والوثنية ... [illegible]

المعرفة ... [illegible]

الآخرين !..

وبهذه الحقيقة نجد ... [illegible]

... إلى الإسلام ... [illegible]

... [illegible] والشيعة قد ...

... [illegible] الشيعة

حتى ... [illegible]

(المتحولون) ... [illegible]

* * *

... [illegible]

... [illegible]

... [illegible] أهل السنة ... [illegible]

... [illegible] الأزهر ... [illegible]

... [illegible] ٢٤٨ ... ٣٣٥ هـ ... [illegible]

... [illegible] الشيعة ... [illegible]

(... ١٣٨٣هـ ... ٩٦٣م) ... [illegible]

... [illegible]

(٢٦٦ ... ٣٢٣ هـ ... ٩٤٥م).

وبسبب هذه التي [illegible] الإمامية [illegible]

الوهابية [illegible] إلى [illegible]

[illegible] مكتبة [illegible] تحتوي على كتب [illegible] الشيخ

محمد عبده التي الشيخ [illegible] من "الحقائق الإلهية" و"الحسينية" [illegible]

[illegible] ولا تزال مكتبته ومجلداته في [illegible]

وفي فكره [illegible] المجموع [illegible] محقق في [illegible] الأمة

[illegible] الشيخ محمد عبده [illegible] مذهبه ومذهب [illegible]

جمال الدين الأفغاني [illegible] ([illegible] ١٣ [illegible] هـ / ١٨٣ [illegible] - ١٨٩ [illegible] م) ومذهب صاحبه

العروة الوثقى [illegible] الأفغاني [illegible] محمد عبده [illegible]

[illegible] في رسالة كتبت إلى [illegible]

[illegible]

و [illegible] في [illegible] المذاهب [illegible] المالكي

والشافعي والحنبلي والحنفي

[illegible] عن صاحب [illegible] الأعلام [illegible] (١)

٢ - [illegible] محمد عبده عن مذهب [illegible] جمال الدين الأفغاني

[illegible] في العقيدة التي [illegible] رسالة ([illegible])

مذهبه "حنفي" كأهل أفغانستان [illegible] وأنه كان من [illegible] الناس محافظة

على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان [illegible]

[illegible] الشيخ محمد عبده عن مذهب الأفغاني :

---

(١) الأعمال الكاملة جـ١ ص٦٩٧، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

أما مذهب الرجل فحنفي حنفي ، وهو وإن لم يكن شيئاً عقيدته [illegible] ، لكنه لم يقارن السنة الصحيحة ، مع ميل إلى مذهب السادة الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ وله مثابرة شديدة على أداء الفرائض في مذهبه ، وعرف بذلك بين معاشريه في مصر أيام إقامته بها ، ولا يأتي من الأعمال إلا ما يحل في مذهب إمامه ـ (أبي حنيفة) ـ فهو أشد من رأيت في المحافظة على أصول مذهبه وفروعه .

٢ [illegible] افتراقه عن مذهب [illegible] على الشورى [illegible] وسلطة الأمة [illegible] بدلاً من ذلك [illegible] على [illegible] والوصية [illegible] والوحي .. وبعبارة العلامة السيد محمد باقر الصدر

فإن النبي لم يمت من عملية التوعية على نظام الشورى وتفاصيله التشريعية أو مفاهيمه الفكرية ، ولم يطرح الشورى كنظام للأمة ولكنه عد الإمام علياً بمرجعية [illegible] التجربة [illegible] وأودعه سنته كاملة ، وعلمه ألف باب من العلم .. "[2] .

[illegible] هو [illegible] الشيعة لإقامة الدولة الإسلامية [illegible] الشورى [illegible] الأعمال الفكرية [illegible]

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٣

٢ [illegible]

٥٦ تقديم وتعليق السيد طالب الحسيني الفرعي ، طبعة [illegible] ١٣٩٧هـ [illegible]

١٠٢

عن الشورى وسطه لأمة طرف [illegible] الخلافة والإمامة

في الإسلام [illegible] حتى لقد خصص [illegible] من القضاء

والعدالة.

فهل يكون شيعيا من يفترق ويخالف ويناقض نقطة الأصالة الشيعية

في عقيدة الإمامة؟!

٤ ـ وإذا كانت الشيعة تدعي أن الرسول ﷺ قد اختار معه في

المباهلة مع نصارى نجران سنة [illegible] علي بن أبي طالب [illegible]

فاطمة [illegible] الحسن [illegible] وذكروا [illegible] في تفسيرهم [illegible]

[illegible] ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من

العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا

وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾

قال الإمام محمد عبده يرفض هذه الدعوى الشيعية [illegible]

الروايات التي [illegible] ها .. ويقول ـ في تفسير هذه الآية ـ:

[illegible] على [illegible] النبي [illegible] فاطمة

[illegible]

ويحملون كلمة «نساءنا» على فاطمة وكلمة «أنفسنا» على

علي فقط.

ومصادر هذه الروايات الشيعية، ومقصدهم معروف، وقد اجتهدوا

في ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنة

[illegible] على سبيل المثال [illegible] من [illegible]

(٢) آل عمران: ٦١

ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية ، فإن كلمة « [illegible] » لا يقولها العربي ويريد بها بنته ، لا سيما إذا كان له أزواج ، ولا يفهم هذا من لغتهم ، وأبعد من ذلك أن يراد « بالقسط » [illegible] عليه الرضوان — وهذا الإشكال وارد على قول الشيعة ومن شايعهم

فهل يكون [illegible] من [illegible] الشيعة بالوصية [illegible] — [illegible] — وترويج هذا الكذب ودسه في كتب التفسير [illegible] ثم [illegible] — هذه الروايات التي وضعوها ؟!..

٥ — وإذا كان عمدة عقائد الشيعة في الإمامة هي عصمة [illegible] فإن الإمام محمد عبده يرفض هذه العقيدة الشيعية من [illegible] تفسير الشيعة — « أولي الأمر » في الآية القرآنية « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » [illegible] المعصومون [illegible] يرفض الإمام محمد [illegible] والمعذرة في المذهب الشيعي [illegible] في [illegible] —

وقالت الشيعة إنهم الأئمة المعصومون وهذا مردود [illegible] لا دليل على هذه العصمة ولو أريد ذلك لصرحت الآية

وبعد رفضه لهذه العقيدة الشيعية المحورية [illegible] أولي الأمر) ، فيقول [illegible] إن المراد بأولي الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٥ ، ص٣٤، ٣٥

(٢) النساء : ٥٩

وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ".

وهو بهذا التفسير – لأولى الأمر – يجعل السلطة في الأمة عن طريق ممثليها ، وليس في الأئمة المعصومين – كما هي عقيدة الشيعة في الإمامة والسلطة والدولة –

ثم يضرب [illegible] الإمام محمد عبده – مثلاً على [illegible] الإسلامية التي جعلت سلطة (ولي الأمر) في [illegible] الخلافة [illegible] خلافة [illegible] عمر بن الخطاب – الذي يكفره الشيعة ويلعنونه! – فيقول [illegible] وذلك كالديوان الذي أنشأه عمر باستشارة أهل الرأي من الصحابة – رضي الله عنهم – وغيره من المصالح التي أحدثها – (عمر) – برأي أولي الأمر من الصحابة ، ولم تكن في زمن النبي ﷺ ولم يعترض أحد من علمائهم على ذلك

فهذا الفكر الواضح والحاسم ، الذي يرفض عقيدة الشيعة في [illegible] الأئمة [illegible] إلى الشورى وموجبات كمصدر للسلطة – [illegible] إلى السلطان [illegible] المعصومين [illegible] إلى [illegible] عمر بن الخطاب والصحابة [illegible] يكفرهم الشيعة ويلعنونهم – في سياسة الدولة [illegible] عن هؤلاء الصحابة ؟!

هل يمكن أن يكون هذا الفكر الواضح والحاسم صادراً من شيعي ؟

(١) المصدر السابق [illegible] ، ص ١٩

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في كثير من العقائد ..[1].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقالوا عن كل امام من ائمتهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

وأراد معرفته استطاع عمه [illegible]

ولا ترتيب [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) المصدر [illegible]

(٢) الكليني (الكافي) ، جـ١ ، ص ٧٢

على السهم كلمة (لا أدري) ولا تحيل الجواب إلى المراجعة [illegible]
ونحو ذلك .. ( ) .

[illegible]

أن يصدر عن متحول من السنة إلى الشيعة ؟! .

[illegible]

فهو المعصوم والمنصوص عليه والمعين من السماء
– بواسطة الوحي – وهو مصدر الشريعة والحافظ لها والقيم
عليها – بل والقيم على القرآن – والذي لا يجوز عليه الخطأ [illegible]
يجوز الخطأ والضلال على الأمة جمعاء .

[illegible]

[illegible] الأمة كفر [illegible] النبوة كفر [illegible]
الأمة على النبوة [illegible] الرسالة [illegible]
فالنبوة لطف خاص والأمة لطف عام .

[illegible]

[illegible]

فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضرورات مذهبنا أن لائمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والرتبة ما لا يعلمه إلا الله[1].

بل وجعلوا هذه السلطة الدينية الكهنوتية — التي تفوقت على السلطة الجبرية للتابوت — لتقفيل الباب عن الإمام — في عصر الغيبة للإمام الغائب —.

وذلك "لأن الفقيه هو وصي الرسول من بعد الإمام، والحجة على الناس كما كان الرسول حجة عليهم. وفي عصر الغيبة يكون — (الفقيه النائب) — هو إمام المسلمين دون سواه. وله كل سلطات الإمام، الذي هو حجة الله الذي عينه الله. فالله جعل الرسول ولياً للمؤمنين جميعاً، ومن بعده كان الإمام ولياً. ونفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه. فالقيم على الشعب بأسره لا تختلف مهمته عن القيم على الصغار إلا من ناحية الكمية"[2].

إذا كانت هذه هي السلطة الدينية الكهنوتية للإمام عند الشيعة.. فكيف يكون الشيخ محمد عبده شيعياً، وهو الذي يفضل هذا البناء الكهنوتي

---

(1) [illegible] الحكومة الإسلامية [illegible] ص ٥٢، [illegible] القاهرة سنة ١٩٧٩م.

(2) [illegible]

من [illegible] و [illegible] هذا [illegible] من [illegible]
الإسلام ؟! .. إنه هو القائل :

أصل من أصول الإسلام ـ وما أجله من أصل ـ قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الإسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم . إن الرسول كان مبلغا ومذكرا ، لا مهيمنا ولا مسيطرا . والمسلمون يتناصحون ، وهم يقيمون أمة تدعو إلى الخير . وهم المراقبون عليها وتلك الأمة ليس لها عليهم إلا الدعوة والتذكير والإنذار . فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه . والله لم يجعل للخليفة ، لا للقاضي ولا للمفتي ولا لشيخ الإسلام أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة يناوئها واحد من هؤلاء هي سلطة مدنية . ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه . ويدرعه في طريق نظره . فليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر ، وهي سلطة حولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما حولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم . وليس لمسلم مهما علا كعبه في الإسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه إلا حق النصيحة والإرشاد » (١) .

---

(١) [illegible]
سنة ١٩٧٢ م

[illegible]

السنة والجماعة إلى مذهب الشيعة الاثني عشرية "

وكيف جاز ذلك " الوهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

في مذهب الشيعة [illegible]

[illegible]

بإذاعته حتى بعد وفاة الأستاذ الإمام !!

[illegible]

[illegible] الشيعة

[illegible]

(١٢٦٠-١٣٣٩هـ/١٨٤٤-١٩٢١م) [illegible] أنهم [illegible] [illegible]

إلا " لإصلاح مذهب الشيعة وتقريبه من مذهب أهل السنة " .. ثم [illegible]

[illegible]

" . وذكر — (أي الأستاذ الإمام) — ما لم يأذن لي بنقله عنه في حياته

وأرى الحكمة في ترك التصريح به بعد وفاته

وأنا أقول إن حكمه عليهم — (الشيعة) — أشد من حكم شيخ الإسلام ابن تيمية .

وقال — (أي محمد عبده) " هم أحوج الفرق إلى الإصلاح . " (١).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والتشيع ، فيدعون تحوله من السنة إلى الشيعة

[illegible]

العجائز بصغار الأطفال !! ثم يكتبون ذلك ويطبعونه وينشرونه فيما صنفوا عن (المتحولين) ؟ ..

* * *

[illegible] نكتفي — في هذا المقام — بهذا الحديث عن حقيقة موقف الإمام محمد عبده من المذهب الشيعي [illegible] لا نريد مناقشة رأيه ، وإنما نريد

---

(١) [illegible]

[illegible]

جـ٣ ، ص ٥٦٠ ، ٥٦١

- ١٠ -

والآن .. ما العمل ؟؟

إننا ندعو الآن أن يتنادى حكماء المذاهب الإسلامية – وخاصة من السنة والشيعة والسلفية والصوفية – إلى حوار حكماء تعقد جلساته بعيدا عن العامة والإعلام للاتفاق على أمرين

أولهما عاجل وهو إصدار فتوى جماعية – سنية شيعية صوفية سلفية – بتحريم وضع تهم التكفير وما يتصل به لأي من مذاهب الأمة ، التي يشهد أهلها أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . تحريم وضع هذه الاتهامات على مواقع الانترنت ، وغيرها من وسائل النشر والإعلام الجمهورية .

وثانيهما العمل على تهذيب كتب التراث – لدى هذه المذاهب جميعها – وذلك بتطهيرها من كل أحكام التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذلك لنزع هذه الألغام الموقوتة والمتفجرة من ثقافة الأمة الأمر الذي بدونه سيظل الحديث عن وحدة الأمة ضربا من العبث بل – وفي بعض الأحيان – نوعا من ألوان النفاق

* * *

ـ [illegible] ويبقى السؤال الأهم .. وهو :

[illegible]

من ألغام التكفير ؟!

ـ إن جوابنا هو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أو " مصحف فاطمة ".

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

منهج المراجعة لهذا التراث ، ومنها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المرويات .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وأما بالنسبة إلى [الكافي] ـ الذي ألف خلال عشرين سنة ـ فنحن لا نقول بصحة كل الروايات التي نقلها الكليني [illegible] لأن قسماً منها [illegible] من حيث السند ضعيف أو مرسلاً أو غير ذلك وقسماً آخر منها لا يوافق القرآن ، ويمكن أن يخدش فيه من حيث المتن .

ويقول السيد هاشم معروف الحسيني ـ في كتابه [دراسات في الحديث والمحدثين ـ ص ١٣٢ ، ١٣٤] ـ إن المتقدمين لم يجمعوا على الاعتماد على جميع مروياته ـ [الكافي] ـ جملة وتفصيلاً .

ويقول [illegible] إن أحاديث الكافي ، التي بلغت ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين ـ ١٦١٩٩ ـ حديث ، وهي :

* الصحيح منها : خمسة آلاف واثنين وسبعين حديث ٥٠٠٢
* والحسن : مائة وأربعة وأربعين حديث ١٤٤
* والموثق : ألف ومائة وثمانية وعشرين حديث ١١٢٨
* والقوي : ثلاثمائة وحديثين " ٣٠٢ " .

• والضعيف [illegible] سبعة آلاف وأربعمائة وثمانين حديثاً [illegible]
هذا من حيث السند فقط • ( ) .

[illegible] هو الموقف الاجتهادي الشيعي من روايات الأخباريين ، التي جاءت في هذه مصادرهم الحديثة — [الكافي] فإننا نكون [illegible] إمكانية حقيقية ، بل وفرصة ذهبية ، لمراجعة كل التراث المذهبي [illegible] مختلف الفرق والمذاهب ، [illegible] الفكرية [illegible] ألعاب التكفير [illegible] التراث ، [illegible] كتبه ، وتقديمها في الصورة التي تجعل [illegible] عوامل وحدة الأمة [illegible] أن تكون عامل تمزيق و[illegible]

[illegible] الشيخ [illegible] كل مرة [illegible] التي تحدثت عن تحريف القرآن الكريم [illegible] [الكافي] [illegible] كتاب [أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة] ، الذي صدرت طبعته الرسمية في طهران ١٩٨٥م ، والذي قدمت له [illegible] طبعته بالقاهرة ٢٠٠٦م .

[illegible] أمام إمكانية حقيقية وفرصة ذهبية [illegible] بجمع صفوة من عقلاء علماء المذاهب الإسلامية ، الذين [illegible] مع فقيههم للأحكام [illegible] والذين يعيشون [illegible] على [illegible] التوجيه بين الأمة وبين الصليبية [illegible] الصهيونية [illegible] الوحدة الإسلامية في الانتصار على التحديات الشرسة التي تواجه الإسلام

( ) الشيخ رسول جعفريان [illegible] تحريف القرآن بين الشيعة والسنة [illegible]
[illegible] طبعة مكتبة [illegible] القاهرة [illegible]

والمسلمين ، ولا يقيمون الارتزاق من التعصب المذهبي على المصالح العليا للأمة الإسلامية .

إن حوارا علميا [illegible] يقوم به نفر من هؤلاء العلماء الحكماء لانجاز هذا المقصد العظيم [illegible] التراث المذهبي [illegible] التكفير والحكامة لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله [illegible] الفريضة الذكرية الأولى ، التي تقوم إلى فريضة وحدة أمة الإسلام

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ..

* * *

إن علينا أن نتعلم المنهج القرآني الذي لا يعمم ولا يطلق الأحكام على الآخرين .. منهج : (ليسوا سواء) (١)

* فالشيعة ليسوا سواء ،
* وأهل السنة ليسوا سواء
* والصوفية ليسوا سواء .
* والسلفية ليسوا سواء .

فعلينا أن نتوكل على الله ، ونختار المؤسسة العلمية الموهبة بالدعوة والرعاية لهذا الحوار الذي نعلق عليه وعلى نجاحه الآمال الكبار إن شاء الله .

* * *

(١) آل عمران : ١٣

وإذا كنا قد اضطررنا ــ في هذه الدراسة ــ إلى تقديم مصطلح من " الفواحش الفكرية " التي تتقاذفها مذاهب وتيارات فكرية عبر وسائل الاتصال الحديثة .. فإن الهدف من ذلك إنما كان (تشخيص الداء) طلبًا (للدواء) .. وليس إشاعة جراثيم هذا الداء بين العامة والجمهور .. ذلك أن تقنيات وسائل الاتصال الحديثة يجب أن توضع ــ دائمًا وأبدًا ــ في خدمة وحدة الأمة ، بدلاً من تسخيرها ــ كما هو الحال الآن .. في إشاعة " الفواحش الفكرية " بين عامة المسلمين وغير المسلمين.

وصدق الله العظيم : ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾[1] .

والله من وراء القصد .. منه نستمد العون والسداد والتوفيق ..

* * *

---

(١) الأنفال : ٦٣ .

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
كلمات	٥
١ ـ تمهيد	٩
٢ ـ حتى يكون التقريب حقيقيًا	١٦
٣ ـ مقال في التحذير من التكفير	٢٩
٤ ـ مستويات الخطاب .. ومستويات المخاطبين	٤٧
٥ ـ ثورة الإعلام المعاصر .. وإشاعة فتنة التكفير بين الجماهير . .	٦١
٦ ـ التكفير الصوفي للوهابية	٦٦
٧ ـ التكفير الوهابي للشيعة .. والصوفية .. والأشعرية . . .	٧٠
٨ ـ النزعة التكفيرية عند الشيعة	٧٣
٩ حقائق .. وأوهام	٨٨
١٠ ـ والآن .. ما العمل ؟!	١١٣

طبع
بمطبعة وزارة الأوقاف

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأمهات الكتب التي صدرت عن المجلس ومنها :

أمهات كتب التراث الإسلامي

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد . الأجزاء من ١ : ١٢	مختصر سيرة ابن هشام . الأجزاء ١ : ٢
بهجة السيرة النبوية لابن كثير . الأجزاء من ١ : ٤	الخلاصة النحوية . الأجزاء من ١ : ٤
تفاسير وتدبير في مختلف الكتاب العزيز . الأجزاء من ١ : ١٠	تحبير التحارير . الأجزاء من ١ : ١١

سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

الموسوعة القرآنية — موسوعة علوم الحديث — موسوعة أعلام الفكر الإسلامي
موسوعة الحضارة الإسلامية — موسوعة التشريع الإسلامي

المصحف الشريف

المصحف الشريف طباعة ٤ ألوان بحجمه وهي . المصحف المعلم ٢٩ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصري
المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية . المصحف المرتل ١٢ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصري
مجلد فاخر طباعة أوفست ٢ لون وترجمته . المصحف الجوهر ١٠ شريطاً للقراء عبد الباسط عبد الصمد
باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية . مصطفى إسماعيل محمود علي البنا، محمود خليل الحصري
والروسية والإسبانية والإندونيسية .

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين في العالم الإسلامي:

موسوعة الفقه الإسلامي . الأجزاء من ١ : ٢٨	حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين
الفتاوى الإسلامية مجلدة . الأجزاء من ١ : ٢٠	الأحاديث القدسية مع تخريج كبار العلماء

بتاريخ الأحكام في معرفة الحلال والحرام

مراكز البيع

القاهرة ٨ شارع البارودي جاردن سيتي — ٣ شارع الأميرة دار الشرع أمام ميدان التحرير
مكتبة مسجد النور بالعباسية — ٢٦ شارع الجمهورية أمام القرآن الكريم
الإسكندرية في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحاً الى ٢ ظهراً

وتسري على القارىء العام وعشرات الآلاف من مزودي المكتبات الإسلامية والمتخصصة في المجلس . شراء هذه الكتب للجمهور تعتبر المكتبة الوحيدة . مع إمكانية خصم البيع بالنقد نظراً لعدد النسخ المباعة حتى عشر المكتب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالآجل على أقساط شهرية دون زيادة على أسعار الكتب المعلنة

الثمن ١٠٠ قرش — طبع بمطبعة وزارة الأوقاف